ندى

مجموعة قصصية

عبير صفوت

ديوان العرب
للنشر و التوزيع

دار ديوان العرب للنشر و التوزيع – مصر - بورسعيد

اسم العمل : ندى

اسم المؤلف : عبير صفوت

الجنسية : مصر

التصنيف الأدبي : قصص قصيرة

الترقيم الدولي : 978 - 977 – 6707 - 47 – 4

رقم الإيداع : 16436 / 2019

تدقيق لغوي : هبة ماردين

تصميم الغلاف : محمد وجيه

المدير العام : محمد وجيه

تليفون : 00201211132879

الإهداء

هنالك دائماً بين الوجود، هؤلاء الناس الذين نقول لهم مرحى قد أحسنت الصنع بنا، نحن من البشر الذين بهم فئات لحظوظ عسيرة أو متهيئة للنصر، والآن أحب أن أشكر القدر، الذي هو بيد الله، بل أشكر الذين كانت أرواحهم عطاءه وهم بكامل الصمت، وأيضاً هنالك قلوب نبضت وأفصحت عن معاونة في الحب والصداقة، لن يتغير الإنسان في بناية الاختلاف إلا إن كان هناك عظماء.

وأشكر سيادة السفير

الأستاذ محمد الدكروري

الأستاذة مريم حوامدة

وأشكر كلّ من شد على الأيادي بالعزم والتشجيع والمقاومة، إنَّ الله في قلوبنا ما دام الجد والاستمرارية من الصبر والكفاح.

****

شكر و عرفان

بأسمى آيات الشكر و العرفان أتقدم بكامل التقدير لمن كانت لهم الروح البناءة في التتويج الأدبي في حياتي، بل إن هناك ناس رائعون نسعى جاهدين في رحابهم أن نقول دائما لهم شكرا، أيها الأقوام كان منكم المتزن دائما بالصمت الذي يصحبه عطاء، و نبل و طمأنينة و سكينة، كان للعطاء الذي تلونا به تميزا هو بمثابة عجلة للقيادة تدفعنا للأمام منكم قد تعلمنا الكثير إلى مدى النضوج حد الإستفادة مكيال البناء، مكيال الأتقان، ومكيال الاختلاف وعلى أيديكم التميز، لكم كل التقدير والاحترام والتبجيل، ودمتم لنا منارة للعقول والقلوب أنتم رايات تتباهى بها الأوطان ويحملها تراب الوطن

شموخ وكبرياء تحياتي

سيادة السفير / محمد دكروري

****

قصة الجريمة " **أدرينالين**"

انطلق الرجل يطلق الأبخرة الزرقاء المتصاعدة من غليونه في البراح، تتعارك بسيوف الشك للنيل من اقتناص الباطل، وكشف الحقيقة.

دخل يكمم أنفه بصورة مشمئزة، حتى نظر إلى رفيقه وهو الطبيب الشرعي، بإشارة من يديه أن يتم فحص الجثة.

خرج المحقق يستنشق هواءً نقياً ويشعل غليونه في براح الروف الذي لم يقطن فيه غير غرفة صغيرة لعجوز هي وقططها الثلاثة، أخذه الأمر برهة، حتى أعاد النظر عن المشهد المروع، قائلاً بين نفسه: قتلت مروعة بالخوف، قطعاً هنالك أمر.

أجابَ الطبيب رجل التخمين والأدلة: أيضاً بدأتُ أشك في الأمر، إنّما لا حكم بدون البراهين والأدلة.

المحقق: إذاً هيّا هلمَّ إلينا بها.

أضاف المحقق بعضاً من منثور العطر يعبق زوايا المكتب متسائلاً: ما اسمك الحقيقي ؟! سأل المحقق هذا السؤال،

للرجل الذي كان يجلس أمامه في تحفظٍ، حتى أجاب في هدوءٍ وخشوعٍ: حامد الكيلاني يا بيه.

المحقق: كيف اكتشفت الجريمة وأنت في الدور الأول؟!

أجاب حامد: تعودنا رؤيتها يومياً، ومنذ ثلاثة أيام تغيبت، وعند الصعود تراءت لنا الروائح معاذ الله.

المحقق: كيف كانت العلاقة بين القتيلة وأفراد الجيران؟!

أجاب حامد بكلِّ خشوعٍ وإيمانٍ: طيبة والحمد لله.

جلس الحاج حسين في غضبٍ مجمهرٍ، وهو يداري حماقة غافلة بين الأجفان، حتى قام بتحية المحقق، وتبين من الوهلة أنّه يخفي شيئاً يتنكر له بالغضب والكيل والتنمر والغيظ والحسبان.

ألقى المحقق حجراً في بحيرة الحاج حسين الراكدة، طارحاً سؤالاً: حاج حسين، ما يدور في نفسك به الخلاص.

جرفت هذه الكلمة الحاج حسين، إلى عالمٍ من الرفض والشكوك، حين استمعَ أول مرة كان يجلس فوق الروف في ركنٍ منزوٍ، حتى استمعَ لهذا الحوار الذي أثار سخطه.

حين قال كامل ابن زوج القتيلة: ما ذنبي أنا وإخوتي؟! يتوقف بيع البيت على هذه الغرفة، التي تقطنين فيها، أبي رحل، وقد أخذتِ حقك، فلترحلي إذاً.

خرج الحاج حسين يلوحُ بيديه في حيزٍ ضيقٍ، قائلاً شبه هامساً: الرحمة ضلت طريقها.

أجابه المحقق بسؤالٍ: هل تظن يداً لهذا الشاب في مقتل الراحلة؟!

قال الحاج حسين: حاول أن يطردها أي نعم، إنّما محاولة قتل، ماتت المرأة بعد رحيله بخمسة أيام.

أكد بسيوني البواب حين أخذته شهادة الحق مندفعاً: والله العظيم أقول الحق.

سأله المحقق بهدوء: من كان من المترددين على القتيلة قبل ثلاثة أيام؟!.

قال يتذكر: والله ما رأت عيني إلّا رجلاً يصلحُ الهاتف، وصعدَ في غير وجود القتيلة، نظراً لخروجها لابتياع الأشياء، حتى اضطرت هي أن تترك معي مفتاح الغرفة، احتساباً أن يأتي وهي في الخارج.

اهتمَ المحقق وانتصبَ في جلسته، مشرئباً متيقظاً بسؤالٍ: هل أخذك المشهد لغموضٍ وريبٍ؟!

قال حسين: لا يا بيه، إلى أن توقف حسين متذكراً، تلك الواقعة، حين جاء رجلٌ آخر من الهيئة لإصلاح الهاتف،

إلى أن قال له حسين: أتى صديقك وأتم الأمر، تنكر الرجل من حضور مفوضين عنه.

انتبه المحقق قائلاً: إذاً، من هو الرجل الأول؟!

الذي قام بإصلاح الهاتف؟!

ثم ناوره بسؤالٍ آخر: هل كنت تلازم الرجل في حين إصلاح الهاتف؟!

ارتبكَ حسين البواب قائلاً: قدماي تؤلمني يا بيه، تركته لحظات ثم عدت.

انغمر المحقق في وميضٍ من التساؤل بين نفسه قائلاً: عند هذا الرجل، يتجلى اللغز.

جلس الطبيب الشرعي يلتقط أنفاسه قائلاً: مثلما توقعت، ماتت إثرَ الخوف والترهيب، مما أدى إلى ارتفاعٍ في الأدرينالين، أدى للموت المفاجئ.

المحقق مندهشاً: حقيقةً ما الدافع ؟!

الطبيب متعجباً: إنّها التكنولوجيا.

المحقق يأخذه اللفظ مستعلماً: التوضيح لو سمحت؟؟

يقف المحقق في حالة من الذهول قائلاً: الآن تكشفت الحقائق.

قال الطبيب الشرعي: ما هو نهاية الخيط؟

المحقق: بالمراقبة لابن زوج القتيلة الراحل، تبين أن عامل الهاتف المزيف، أتى من أجل وضع بعض أدوات المكبرات الصوتية في غرفة القتيلة، كما ذكرتم.

أكد الطبيب: بالضبط وقد تم الضبط.

ثم استكمل المحقق: هذا العامل، كان ينفذ الأوامر بالترهيب حتى تهرب القتيلة وتترك الغرفة، إنّ ما حدث أنّها ماتت من الخوف والرعب.

الطبيب يستكمل: أتم الأمر بعيداً عن ابن الراحل، حتى تبتعد عنه الشبهة تماماً، ضحك المحقق قائلاً: من الغباء أن تجعل أصاحب الملفات يؤدون لك المهام الخاصة.

أكد الطبيب: حقاً فشهادة البواب والتعرف عليه، كان لها صدى إيجابي.

المحقق: الآن وقد تضخمت الجريمة، حتى ازدادت مخاوف الحروب النفسية، من ميراث الحداثة لدفع المرء على الانتحار، اندهش الطبيب الشرعي يجاري المحقق: إن كان الأمر كذلك، فالعداء كلّ العداء للعولمة والتكنولوجيا والحداثة.

أشعل المحقق غليونه، أخرج زفرةً قاسيةً، وهو يشير بأنامله نحو السماء، حتى قال الطبيب بخشوع: الله للقلوب النظيفة، ومساوئ الحداثة للعقول المظلمة.

****

"الحُبُّ بِلا أشواك "

اِزدَهَرَ بِمنْثور عشّقها الفَرَح، أبداً قبل اليوم ما كان للسعادة عِنْوَان، تَحقق الأملُ، تضوي الحَياة بأربابها النفوس.

يُلبي القدر حاجِيات البشَرية، التَمني... الحُبُّ ... النَشْوَة ... التَفَاهم، خير نَصيب من الدنيا التي طالما أذهلتها.

وجلست مكلّلة بالمرح تجرف السَعَادَة والمَحَبة لِهَذه الصَدِيقة

قائلةً بِفيهٍ مثل اللؤلؤ: ليس أمامنا الكثير تعالي نستأنس في غُبّ اللحظات.

تَمَنْعت الصدِيقة تَتَلكأ بِحجة أن الأَخيرَة رُبما تَكُون مُنشَغَلة.

نظرتها عفاف بشيءٍ من الدفء: فإن كان الانشِغَال فلاْ انشِغَال بوجُودك.

تَهَافتت رَوِيَّة مُتَأثرة بِغمرة الاحْسَاس: يا له مِنْ إخلاص الذي أراه في عينيكِ.

تَنَفَّستْ عَفَافُ الصُعَداء ونُوّهَت: هلْ لديك شك في ذلك؟
حِين اقتَرَبتْ تُلامس يَدِيها بِحنّية مُتَدفقة، حتى تَرَقْرَقتَ الدُمُوع في عينيها.
تَبُوح في شبه صمت: أنتِ صديقتي الوحِيدة يا رَوِيَّة.
شَعَرت رَوِيَّة أنّها أصِيبتْ في مقَّتل.
وبَاحَت بِهَمس الغَدير: يا لكِ مِنْ إنسانةٍ رائعة الجمال.
نَفَضتْ عفافُ عن شُعورها حالة الحُبِّ تُداعب صدِيقَتها:
هلْ سَنظل طوال اليوم نبّكي؟
قَامتْ بِرشاقة أظْهَرت عَنْ جَسَدها البضْ المْشُوقِ بِشَعَرها المُسَدل الأسود بِنعومته اللاَمِعة، تَخْطو وثَوبها الشَفّاف يظْهر لوَّن جَسَدها الخمرّي، مرت كالباليرينا.
وهَمَست: سَأعد الشاي.
التَقَيت رَوِيَّة بِعين اللحظة ... مَهابة وخوف وارتياب وشبه سَعَادة وكَثيراً من السُكات، لوّحت لها الذكرى الشَائبة في منّظور مشهد أثار عفرة مشَاعرها، إنّما سَرعَان ما جاءت عفاف كالباليرينا وفي يدها خِوان عِلْوه أقْداح الشاي.

وكانت لحَظات هانئة، حتى تَمددتْ مَشَاعر كانْت غَافية منْ المرأة بضَة الجمال.

تحدثت بِعينيها النَهمة حينْ أسدَلتْ رمُوشها الكَثِيفة.

هاتفة بشفَتيها المقلوبة: أتعلمين يا رَوِيَّة اليوم أسعد أيامي.

نهرتها رَوِيَّة بِتنكر تتساَءل باستِغراب: لماذا؟

اعترفَتْ عفافُ وهي تمسح أرجاء البيت بعينيها: هذا البيت إضافة لحياتي.

أشارت رَوِيَّة كأنّها لا تفهم: بيت الزوجية.

عَفَاف تَبوح ببقية صَوتها: أنا وسمير وبيتنا الصغير.

فاجأتها رَوِيَّة: ألا يوجد إلا ذلك البيت وسَمير الذي نتَشدق به.

تَنبهت عَفَاف وانفضت اللذة من أذكارها، واعْتَدلت معتذرة.

حيث كان مجرى الحديث خلي بَوَادره وانفَعَالاته.

....

كانت لحظة رائعة الجَمال واللهفة والدِفِء... حينما تَلاقت العيون.

عَفَاف ... عَفَاف.

هلْ حبيبي يُنادي؟

أجاب سَمير بدعَابة: وهلْ يوجد غيري؟

ضحِكت الحَالمة وهي تقذف منْ مجَّلسِها مُلتَصقة بشقيه تَبوح بمشاعرها المكْنونة.

حيث جَرَفته إلى أمُواجها غَرقَ في بحُور الّلذة والعشق وطيب الرَاحة من قوائم الزاد والزواد وتجرعا عَسَلَ الكؤوس.

تتناظر بالسعادة، وتَنعما بِملء القَوَارير، حيث كان يترَاقص على رياضها متلذذاً بِطيب وممتع.

....

اكتملتْ جمرتُها بدون نيران تتقاذف الغيرة بالنكّرَان، تَمَادت في الغَضب تَمطت بالخُطُورة يُنَاصرها في الكّيد ثُعْبان.

دَقَ الباب دَقَاتٍ مزعِجة كَان لسوء عبيرها رذاذ مِنْ الحقد ومَقّتل لهُ حسبان.

....

انزعجَ سَمِيرُ لرؤية الغموض... تبدَّلت عَفَاف في ليلة وضُوحَها.

صَرحت عَفَاف: ليس عليك أمراً مني، أصبحتُ الآن بِلا حِماية.

رَثى سَمير حَاله مصدوماً مُستهَجَناً: وأين أنا ذَهَبت؟!

نَهَرته بِنظرة جَاحدة مَفَادها الخُبث بالنِساء: أينْ حِمايَتك عندما دَخَل صَاحب القِناع ليقَّتلني، لماَ دائماً يأتي وأنتَ في العمل؟؟!!

إنّها مَكيدة أنتَ مُتَواطئ.

سَمِير لا يرى غير عُقبان منْ السماء بِدُون خَطِيئة.

اِنْهار سَمِير بالاعتراف المُؤكد بِينما خَانته دُمُوعه: لأني أحبك... أحبك ... كيف تَتَجَني عليّ هَكَذا؟؟؟!!

شَعَرت عَفَاف بِهستيرية وكلام يُنافس اللا معْقول وبغير دِراية ختمت اللحظة: أتَجنى ... إنَك مُذنب .... مُذنب ...عَلينا

الانفِصال بلا مُناقشة

جَلَست رَوِيَّة تَضْرب الكُفوف بِمُعَاناة الاستغراب.

وتساءلت: ماذا حدث يا صديقتي؟؟!!

بَكَت عَفَاف وهي تَبوح بِلَوَعَة مُرة: لا أدّري مَاَذا يجَّري؟! أو ماذا حَدَثَ لحالي؟!

بِتُ لا أحُبُّ البيت أو أتَقبل فِكّرة هذه الزِيجة، بَات سَمِير رجلاً بلا حِمَاية.

انْدَهَشَت رَوِيَّة: كيف ذلك؟!

قالت عَفَاف بِكلّ دُمُوعها: الرِجَال يدخُلون البيت يُحَاولون قتلي في غيابه.

رَوِيَّة لا يُعْجبها الأمر: كيف ذلك ؟!

عليك بمهاتفة الشرطة.

تهكمت عفاف: شرطة، إذا كان رَبُّ البيت غير مُقتنع ما بَال الشرطة.

ترثوا رَوِية للأحداث الغَامضة بدون إفادة: حقيقةً أعَانك الله على البلاء.

....

تَهجم الرَجلُ عليه مثل الوحش يَتَوعده بِألفاظ نابية: هَذا هو اليوم الذي به آخر لحَظَاتك في هذه الحياة.

انكمش الأخير مرتعداً بمهزوز الكلمات: ما ذنبي يا سيدي إنّني عبد المأمور.

قال سَمِير: منْ المأمور ؟؟؟!!

أوقفه المُحقق متابعاً: أستاذ سمير يجب أن يكون محضراً رسمياً.

هدأ سمير منْ روع نفسه مُتَوافقاً مع المُحقق: نَعم هو كذلك.

جَلَست المرأة ترتَعد مغَّلولة بأوكار أغْلالها تَتلعثَم بعباراتها، عبارة مِنْ الشَمال وعِبَارة مِنْ الجَنوب.

حيث تَمَنعت عَنْ الاعتراف: كيفَ يَكون ذلك إنّها صَدِيقتي.

أكدَّ المُحققُ: إنّما الجَاني يَقول إنّك المُحرضة.

انهارت رَوِيَّة: كاذب ...كاذب ... ولِما أفعل ذَلك؟!

قال سَمِير: لنْ يَفِيد النُكران، كلّ الأفعال مُصورة.

بَهَتت المرأة بمحطم الحروف: مصورة!!!

تَذكر سمير حينما أشارت عليه نفسه بِهذا، بعدما غرقت شاعرة بركة منْ الوَحل، يَتَجدد أمامه المشّهد يجذبه منْ عذابه إلى يَقين تصوير الحدثْ.

....

استَنْجَدتْ المرأة الكّلِمات.

****

" عفاف "

تكوّمَ الرجل كطفلٍ في المهد، حين ناورته تلك الحالة التي اعتاد عليها الجميع، منذ أن جاء بهذا المستشفى تحت إطراء ظروف غامضة.

قفزت الممرضة تصيح: دكتور عبد الهادي، معزرة يبدو على شوقي قد حضرته الحالة مجدداً.

ارتبك الدكتور عبد الهادي ولملم أغراضه وأسرع في لجةٍ خياله مشهد المريض شوقي، عندما جاء أول مرة بتلك المستشفى... حين تفاجأ.

....

ما أعراض هذه الحالة؟!

الدكتورة تؤكد: إنّها صدمة شديدة يا دكتور، أدت إلى اضطراب نفسي وخلل عصبي.

قال عبد الهادي: نعم سأتولى الأمر.

تكوّمَ المريض في ملابسه المكتوفة حوله، وكانت عيناه تبرز من أجفانه، حين تذكر هذا المشهد، بعدما قال له الآخرين: ماتت عفاف.

لم يصدق شوقي هذه المقولة، بل طاح في الجميع يجهر، كاذبون... كاذبون، عفاف حبيبتي لم تمت، عفاف انتظرتني، لم تبرح الحديث معي منذ قليل، وقام ليحدثها مجدداً: عفاف... عفاف أجبي يا عفاف، أنا حبيبك شوقي أجبي فقط، قولي لهم أنك لم ترحلي، قولي لهم أنهم كاذبون قولي يا عفاف، قولي.

....

دخل دكتور عبد الهادي مسرعاً، ولم يرَ إلّا بقية إنسان، أخذت الدنيا منه كلّ شيء إلّا الحلم الذي عاش ويعيش من أجله وهو رفض كلمة الموت.

جلس دكتور عبد الهادي بجانب شوقي، حتى تنبه شوقي له قائلاً: هل هي معك؟!

قال عبد الهادي: من هي يا شوقي؟!

قال شوقي وهو يتنهد وعيونه غارقة بالدموع: عفاف، عفاف حبيبتي.

قال عبد الهادي وهو ينظر إلى البراح: ستأتي يا شوقي، ستأتي قريباً، حتماً ستأتي.

تردد صوت عفاف في البراح، يداهم رفات شوقي بالتوجه،

شوقي... شوقي... حتى هاج وماج شوقي يصرخ:
عفاف...أنا هنا يا عفاف.
استرخى جسد شوقي في حالة من التخدير، بعدما أعطاه عبد الهادي جرعة مخدرة.
حتى ذهب شوقي في أحلامه هامساً: ها قد أتيتِ يا حبيبتي عفاف.

****

" عقاب الضمير "

لا تضع هذا يا بني، فقط أغلق النافذة، هذا ما قالته الحاجة نفيسة عندما شعرت بالرجفة من ريح طفيفة تسللت من النافذة، وتذكرت... مرعي هو أحد أبناء الابن الراحل لها الذي جاء من زيجة تمطى الوجع بأرجائها طيلة عشرين عاماً.

تودتْ بحبكة أناملها المعروقة وتلك هي عادة، عندما كانت تشعر بالشجن، تهمس لنفسها: لا بأس يا مرعي، فالكلّ هجرني إلّا أنت يا صغيري الوفي.

نظرت الجدة بشيء من الرثاء، حتى تعلقت دمعة لامعة فوق الأجفان فطنة عن مكمن التفكير الدرامي، وتنهدت قائلةً بصوتٍ متهاوٍ مهترئٍ: يا إلهي كم أنا محظوظة بوجود هذا المرعي في حياتي.

نظرت حولها بلا قوة، وتمنت ألّا تستيقظ إلا على رعاية مرعي التي هي لها حصن حصين.

....

جلست إسعاد وهي تقرض أصابعها بشكلٍ ملحوظٍ، حتى انطلق مرعي يعلنها الوقوف: توقفي بالله عليكِ توقفي.

خرجت إسعاد عن لحظة الصمت الموقوتة تفجر المعاني خلف الفكرة، التي باتت تحلق كالشياطين برأسها: ما شأني من الانتظار؟! ما ذنبي إن أحببت؟!

لجم مرعي بوثبة من الحدث على مسامعه المنقضة قائلاً: ماذا تعنين يا حبيبتي؟!

بدت أن الكلمة لم ترُق إسعاد: هذه الكلمة يلزم لها الدلائل.

مرعي يتحدث ببوح يجمهر، بعينيه وقلبه يرتعش: لكنّي حقاً... أحبك.

إسعاد وكأنّ الكلمة تهاوت على قارعة الطريق: فعل الحب، له نتيجة من الأداء، لقد أحببتك وأحببتني، الآن نتساءل: ماهي النتيجة يا عزيزي؟!

مرعي يشعر بشيءٍ من الدهشة، رغم ذلك.

شيّد قائلاً: نحن ننتظر يا إسعاد حتى يكتمل عش الزوجية يا حبيبتي.

إسعاد تشعر بالثورة من جراء الكلمة: أنا لا أحب هذه الكلمة المسالمة الضعيفة، إلّا إذا كانت تصاحبها إحدى النتائج.

مرعي يسقط مجاز الفهم منه: حقاً أنا لا أفهم المقصود، فضلاً وليس أمراً، أن تُملي عليّ طلباتك.

إسعاد وقد خرجت عن شعورها بغضبٍ فادحٍ: جدتك؟!
مرعي يتحدث بلهفة الوفاء والشجن: جدتي العزيزة، وما شأنها يا حبيبتي؟!
إسعاد تهمس له بعمق الفكرة السليطة: اصغِ إليّ يا حبيبي، عندها سنكون أحباب... أحباب إلى الأبد.
جلست الجدة بوجهٍ رحبٍ مبتسمٍ، ترى مرعي قد نفد منه أريج الود والسلام، حتى أخذها الأمر على الاهتمام وشعرت بألمٍ كالأمِّ التي تشعر ببنيها وانتزعت الكلمات من أحشائها ساخنةً كالجمر: مرعي يا بني ما بك يا ولدي؟!
قلبي يقول ولا يطمئن، إنّني جدتك ووالدتك يا بني، افضِ لي بشأنك لعلّي أرافقك بالأشياء.
صمت مرعي كثيراً، حتى اندفعت وكسرت أسواره وسقط العدل منه يتجرأ يجرر أذيال العصيان، يبكي من الهزيمة أمام رغبة الحب، حتى قالت نفسه: الفعل والنتيجة، الفعل والنتيجة.
كان صوت الجدة يأتي كأمواجٍ تصاعديةٍ من المدى:
مرعي ...مرعي... مرعي.

خاب ظن مرعي بنفسه الشريرة، حتى قال وهو يتهم نفسه: حقي عليّ كما تشائين يا جدتي، فقد اقترفت ذنباً تشتاط له الأغوار، وتتلاعب له الثعابين.

شهقت الجدة في هلعٍ قائلة:

بُني ماذا حدث بعالمك الطهور يا صغيري؟؟ يا إلهي فليحميك الرب.

مرعي تأخذه الكلمة بمنتهى القسوة وهو يقترب نحو الجدة في مداهمة نافية للأدب: هل تعلمين سبب حزني؟!

وسر سعادتي أيّتها الجدة الحبيبة؟!

شعرت الجدة بشيءٍ من الخوف والرثاء ورغبة في البكاء، فإنَّ مرعي هو قرة عينيها، حتى قالت وكادت تبكي:

السعادة يا بني في الرضا.

هل أنت راضٍ يا مرعي؟!

يصرخ مرعي قائلاً: لكنّك لم تسألي ما سبب حزني؟!

اهتزت أوصال الجدة، حتى قالت بأعصابها المرتخية: بُحْ بالمكنون يا عزيزي فأنا مثل أمك.

اعترضَ مرعي على هذه الكلمة، متوهجاً كاللهب: أمي رحلت، وأبي رحل، وأنا ذا الوحيد أمامك، أنا يا جدتي

الفتى الصغير الذي يحلم بالزواج المبكر من فتاة الأحلام الطائشة.

بكت الجدة وتأثرت قائلة في انكسار: سأواليك مأمور شؤوني، إنّما بني أبدا لا تغضب.

نظر مرعي إلى البراح ولاحت منه بسمة ساخرة للأقدار قائلاً بتهكم: فلينظر العالم اليا يا جدتي؟!

أنا ابن ابنك الذي أصابته لعنة السماء ويكد بالويل لكم، أنا ابن الصلاح ونثر الخير في الأرض، انهالت عليّ اللعنات، وبت مثل المنبوذ من نفسي ومن الحياة، سقط قناعي أمام نفسي، عندما هرب الهدى مني، أنا عدوكِ بعد تدبير المكائد.

بكت الجدة، وفهمت أنّها على وشك الرحيل إلى عالم آخر، قالت بتوسلٍ: خذ ما شئتَ يا بني، ولكن أتوسل إليك اتركْ جدتك المسكينة تعيش، الأيام القلائل بعمري بودك.

انتزع الألم قلب مرعي، حتى قال مندهشاً: أيّها القدر هل تسخر مني، سحقاً وما شئت، وقد أردت القتل بك وأنت تترجينني وتريدين الزهد فيّ أنا القاتل، كيف سيكون ذلك وربّي؟!

لماذا تريدين أن تَصعُبَ الأمور؟!
لماذا أكون قاتل وأنتِ ضحية؟!
لماذا أخون وأنا الوفيّ لكِ يا أمي؟!
انطلقت من مرعي، حتى تعاتبت الجدة بخلدها قائلة:
أمك، يا إلهي كم هي كلمة بها كل الحب والوفاء وبساتين من المحبة والعشق.
صعبت الأمور عليّ مرعي، حتى تضاعف الصراع فيه قائلاً: الأمور تصعب وأنا المذنب، الأمور تصعب.
شعر مرعي بوميض من الندم، حتى بدا الوفاء يقترب بظلاله رويداً... رويداً، حتى اقترب من هذا الكائن البسيط الضعيف استهل بأنفاس متقطعة، حتى نظرها إذ رأى وجهاً ملائكياً يحلّق نحوه السلام بانطلاقةٍ من النقاء والبراءة، حتى آمال رأسه فوق أنامل الجدة وهو يبكي، ونشيج متأثر بالذنب معتمر بدمار في قلبه من أثر الحدث، إذ ازداد ريقه قائلاً: ندمت من الإغواء يا سيدتي ويا جدتي العزيزة، يا أمي وكل ممتلكاتي، هل الاعتذار يوفيكِ حقكِ، أم أكون معاقباً بأمركِ عليَّ، اهمسي انطلقي كما تشائين.
انتظرَ مرعي كثيراً لحظة الصدق والعفو منها، إنّما كان حكم القدر سوطاً من الانكسار والرحيل، حتى صمتت

الجدة ورحلت في هدوء استبشاري مغمضة العينين كعصفورة صغيرة تكومت ولاحت بالسماء تستقبلها بشارة من الملائكة في زهوٍ وبهاء.

****

" عذراً أيّها الحُبُّ "

لا أريدُ أن أسمعَ، فليس هذا ما أريد، قالتْ اسمت هذه العبارة بينما كانت ترى سالم في هيئته القديمة، التي كانت لا ينشق عن ظلّها الحُبُّ والطمأنينةُ والأمانُ، إلّا أخذه مع مرور الوقت عدم تحمل ثقل قناع الوجه أو التصنع.

خرجتْ اسمت عن وقارها تستجير: بالله كفى، فما للخداع صورة واحدة إلّا وتسقط.

اخترقَ سالمُ البراحَ مغمضَ الصمتِ يجهرُ: الخداع...

الخداع، ولماذا أنتِ لا تنخدعين؟!

كلُّ العالم ومن شأنه التلاعب الذي يأتي من خلفه طريق الاستفادة، انظري الآن للواقع ألا تعلمين؟!

استمعت اسمت لهذه المقولة قائلةً وهي تصرخ: لماذا تزوجتني؟!

لتخدعني، هل تطلب المال، من أجله كان ثمن الحُبّ، هل فقدت الإنسانية؟! أنابَ بقلبِ سالم ألا رحمة، حين قالت اسمت: ما ذنبي أنا التي وثقتْ؟!

ما ذنبي أنا التي أحبتْ؟!
كان عليكَ أن يكونَ الصدقُ أكثرَ وضوحاً، كنتُ هنيئةً بك، فرحة، كنتُ أحبُّ الرجلَ الذي كان يبتسمُ في وجهي، كنتُ أعشقُ الخطى، كنتُ أحلمُ بكَ كلَّ الليالي، أناديكَ بمشاعري وقلبي، سالم...سالم... أين أنتَ يا سالم؟!
أين أنت يا سالم؟!
خرجَ سالم عن شعوره قائلاً بحدة: مجنونة...مجنونة...عليَّ أن أضعكِ في المستشفى، هذا هو الوضع الصحيح أيتها البلهاء.
جزعت اسمت وانكمشت مثل القطة الصغيرة وهي تبكي في مكمن ذل نفسها، إنما جرت تستسمحه وترجوه:
سالم... أنا لستُ مريضة... أنا مريضةٌ بحُبِّكَ.
سالم في قسوةٍ: كلّما تذكرتُ هذا الحُبّ، أشعرُ كم أخطأت في حق نفسي.
تحاولُ اسمت بلهفةٍ: ماذا تريد؟!
نقود، حسناً خذْ ما شئت، إنّما لا ترحل، لا ترحل، لأنَّني سأموت.
ينظرُ إليها سالم بلا مبالاةٍ وهو يهمُّ للرحيل: أنت الآن طليقتي وذكرى تلاشتْ لن أذكرها أبداً.

صُدِمَتْ اسمت وهي تعانقُ البلاط، تلهثُ بحالة من البكاء و الذلِّ والتعنت، حتى مرَّتْ الأوقات والسنين، ما جعلها تتناسى التجربة لكنّها لن تتناسى الشخص أبداً الذي طالما أحبته... سالم.

لم ترَ إلّا الوروَد تؤنسُ وحدتها، عالمها غير المنافق وألوانها غير الباهتة، إنَّه عالم الزهورِ، وتساءلتْ اسمت، ما الذي دفعها للاهتمام بالزهور، وسوّلت لها نفسها ها هي الأجوبة: إنّه الجار الجديد الذي يلاحقها، بهتت اسمت من هذا الاعتقاد تنفي الإحساس: لا...لا... إنّه سالم وكلّ الرجال سالم.

وعندما قام الرجل بحركة مقصودة يودُ الحديث معها، انطلقت مثل الريح في غرفتها توصد الأبواب والنوافذ تلهثُ وتخورُ: لا...لا... أنا لستُ مجنونة... أنا لستُ مجنونة... أنا أحببتُ... سالم... سالم... سالم... لا تأخذني إلى المستشفى.

****

" ما قبل الضمير "

تعدى التوقيت ما قبل الضمير، خلف المقعد أربطة مغلفة من النقود، أنا لم أقتنِ ثروة، أنا أقتني نتيجة عمل، لا يهم أن أكون مشيداً أو هداماً، فكان أبي يأكل وينام بدون ذكر الله، لما شعر بهذا الأمر الذي يقولون عنه الشعور بتأنيب الضمير، الحقيقة لم يعاتبني الضمير عندما كنت أبيع الأشياء بأثمانٍ مرتفعةٍ، أو أرى الشاري يكاد يبكي، لم أرَ يوماً معنى وعكة القلب، الرثاء، كان أبي لا يعرف الرثاء أو العطف، لا يتحدث عن الحقوق أبداً، في نصابه أمي، تأكل وتشرب وتنام وتضحك.

وتقول: الحياة راحة.

كنت أتساءل: من أين تأتي الراحة؟!

كانت تقول: من المال والصحة.

لم أرَ أمي تقول عن الإيمان كثيراً، الحقيقة أنا أيضاً لا أعرف عن الإيمان كثيراً، إلا يوم الجمعة أذهب مثل الآخرين، أصلي مثلهم، أحمدُ الله مثلهم، وقد صادفتني

تلك المشكلة، وهي أن توجهت إليَّ عيون الحقوقيين لإهدار المال العام، قال صديقي: عليك بغسيل الأموال.

قلت: كيف يا صديقي؟!

أشار إليّ: بناء الجوامع، عمل مستشفى، أو دار أيتام.

قلت: بدا لي الأمر غير نافع.

قال: استمر أنت في طريقك، ودعْ أعمالك الخيرية ستاراً للباطن، قلت: فكرة صائبة.

حبذتُ الفكرة كثيراً، إنّما لا أدري لِما أشعر بهذا الأرق والشعور بالعذاب، تساءلتُ في نفسي: أجابت إنّها معذبة.

قال لي الشيخ: انني قريب من الله بهذه الأعمال.

في حقيقة الأمر، لم أرَ نفسي بالقرب من شيء، إلا بالتغلب على الآخرين في الصفقات، وأتمتعُ وهم منكسرون يعتليهم الذل.

حتى الآن ما زلتُ أفكر، كيف أستغلُ هذه النقود، في غير الأعمال الخيرية، لتمويه المترصدين لحركاتي.

بينما أحاول الشعور بهذا يتبعني، وأنا أستمر في مواصلة النتيجة.

****

" ذكرى "

لم نكن نتنبأ بك الخير إلا في أمجادنا، كفوفك البيضاء، ووجهك الصبوح الفياض بالخير.
كانت أختي الصغيرة تهرع في أحضانك الدافئة وتسبح في بحورك النقية، كم كنت حسناء حتى في المشيب والمرض والوهن.
حاجة ماجدة، حاجة ماجدة، هل تعترفين بالقضاء والقدر؟!
كنت أسألك بصغر سني، وأنت تنظرين بعينيك النقية تقولين: بنيتي هذا من عند الله.
كنت أقترب لأسمع صوتك الهادئ الرخيم، كنت أراك في عزِّ الحنين أمي التي رحلت، أقطن بين ذراعيكِ وتقومين بسردِ الحكايات، كنت أنظر في عينيك وأقول لكِ:
استكملي.
بعدما تتوقفين من التعب.
كان أبي ينظر لنا في رثاءٍ وعطف، وكانت تتدفق من فيهِ الدعوة لك.

تعلمت الأجيال على يديك وتمتعنا بنعيم أمٍّ، لم تلدنا.
حاجة ماجدة قد سمعت عن الأمومة، وقد ضحكت
يا سيدتي عندما سمعت بهذا الخبر، لم يهمك أوان
رحليك الذي كان يدق طبلة بالإنذار، بل ابتسمت
وتفوهت بكلمات باتت تسمعها الأنسام، مرحى... مرحى.
وقد عرفت أنا معنى الأمومة، وقد عرفت معنى
الفِراق، عندما جاء الحفيد الذي تمنى أن يقطن بين
يديك، ولن يرى إلا رحيق وعبق الذكرى.

****

قصة الجريمة " **مَنْ السارق** "

سعياً أو بلا هدف، كانت البداية تتعاظم باللّذة بمدى الانتقام، خاصة عندما، قررت أن تهرب، إنّما الهروب لن يفيد في محيط المشاكل العائلية، لن تنتهي المشاكل، لن ينتهي التضخم. هذا ما قالته نعمة، عندما قررت هذا، إنّما بدا الأمر في غرابته... عندما؟

....

هل تعتقد بوجود الأشباح؟!

هذا ما قاله الضابط بعد الشكوك التي لكزته في عقله مدرار اللغز، وكيف يكون فك الشفرة للوصل للوضوح إياه.

الطبيبُ الشرعيُّ يضحكُ وهو يلتفتُ قائلاً: فنبحث بالعلم أولاً.

الضابطُ بحسمٍ: هل تشعر بشيءٍ يخامرك بالسحر؟!

أخرجَ الطبيبُ الشرعيُّ الفكرة برمتها من رأسه، مشيراً إلى محيط من حوله قائلاً: جميع النوافذ مغلقة والباب الرئيسي موصدٌ بمفتاحٍ خاص مع الوالد، والريبة هنا تكمن؟! قال المحقق وهو يشعل سيجارة المعتادة موجهاً

سؤاله إلى الطبيب بتمعن متابعاً: هل كنت تتحدث عن الريبة فيما تكمن؟

الطبيب يواصل: السارقُ يتّبعُ نفس الطريقة، وتتم في النفس التوقيت.

المحققُ باهتمام: هل هناك الظن بأغراب؟!.

الطبيب: الداخل والخارج مراقب.

المحقق: والأسطح، وخلفيات العقار.

الطبيب يقدم التمام: الأمن مستتب.

....

جلس المحقق يناوره سؤال، عندما رأى أول شاهد: ألم ترَ شيئاً يناورك الشك فيه؟! قال والد نعمة: أبداً والله.

المحقق باهتمام: ما دور الأغراب هنا؟! والد نعمة: أبداً لا أغراب، نحن عائلة واحدة متماسكة.

المحقق يظن لحظة: ما هدف السارق؟! كيف دخل السارق والأبواب والنوافذ مغلقة؟! ما هو قولك وأنتم تقنطون في الدور الأول، رغم ذلك لا انتهاك ولا تعدي؟!

والد نعمة: العلم عند الله وحده.

....

لم يكن بالريب في وجوه الأخوات والأم، حين سألهم المحقق: بمن تشكون؟! فكانت الإجابة متشابهة واحدة. إلا من نعمة التي جلست منكمشة في ربيعها ملتفة على عودها العشرين، في تخوف يمنعها البوح عمّا جرى لها في هذا البيت المشؤوم، ولم تبرح الخيال الأسود المقهور، إلا أخرجها الضابط من أضغاثها يجهر بصوته الرنان: نعمة، هل يتمادى بك الشك بشخصٍ ما؟! نعمة تنظر في صمت، تقول في همس: أبداً...أبداً.

المحققُ يقتربُ من نعمة في مواجهة حاسمة: أين كنتِ في الساعة **8.00**؟!

تجيب نعمة وهي تشير: لا أفارق غرفتي.

المحقق يكررُ السؤال: إذاً من الساعة الثامنة مساءً، إلى الساعة الثامنة صباحاً، أنتِ في غرفتكِ، ولم تبرحيها في هذه الأثناء؟!.

نعمة تصرُّ: أبداً...أبداً... لم أبرحها.

المحققُ ينظرُ إلى غرفة نعمة متسائلاً: ماذا يحدث هناك؟!

نعمة تكاد أن تبكي: لا شيء...لا شيء.

....

يجلسُ المحققُ في ذهولٍ ناظراً إلى والدة نعمة وإلى والد نعمة، عندما يبكيان في حسرة يتلفظون: ذهبت نعمة وأيام نعمة، أين ذهبتِ يا نعمة؟!

المحقق في دهشة: أين ذهبتْ نعمة؟!

....

الطبيب الشرعي ينظرُ في استغراب لبعض الأغشية المخاطية، وعيناتٍ من الأظافر، وقطعاً من الملابس، وصوراً للقتيلة قائلاً: زُجّ بها بعد التهتك في الأماكن الشبقية، والاغتصاب، وبدت على القتيلة بعض المقاومة، التي أفضى بها إلى الضرب والقتل.

المحقق في شبه غضب مكظوم، وهو يطلق الخبر كالصاعقة في وجه أم نعمة: ماذا بعد أن علمتِ يا أم نعمة؟!

قالت أم نعمة: موت وخراب ديار وعار يا بيه.

....

الطبيبُ الشرعي يعرب النصوص مفقودة الإعراب: تكشف البصمات عن يد القاتل وأظافره التي غرست في لحم القتيلة.

المحقق بثقة: كنت أشم رائحة التلاعب من الآخر والغدر.

يستكمل الطبيب الشرعيّ: الجاني، ابن عم القتيلة، كالعادة أحبّها... تقدم لها... رفضت... قرر الانتقام منها ومن العائلة الكريمة.

المحقق: بالسرقة والاغتصاب والقتل!

الطبيب: السرقة كانت مدبرة بالتعاون مع نعمة، التي كرهت العائلة بعد رفضها للزيجة، من هنا أتت رياح الجريمة استكمالاً لإتمام الثأر.

المحقق: كانت السرقة أشبه بالسحر.

الطبيب: إنّما القتيلة والجاني حقيقة.

المحقق: والضحية دائماً الأبناء.

الطبيب الشرعيّ: بل الآباء الغافلون عن الأبناء، بالطبع لُبُّ القضية.

****

" عزيزة "

زاغتْ عيناها في براحِ النشوة والحُبِّ الذي احتكرها، قائلةً بصوتٍ أقربُ إلى النحيبِ، وهي توصد خلفها الباب الضخم بقوة: ((سيبوني يا ناس، سيبوني بقا في همي وحالي وخيبتي)).

شعرتْ والدة عزيزة التي كانت تقف بالخارج بشيءٍ من الحزنِ والرثاءِ قائلةً بصوتٍ أقربُ إلى النحيب: والنبي يا عزيزة، الولد رجال، ربنا يهديكِ افتحي الباب يا بنتي.

بكتْ عزيزةُ -وهي تطهق-حين تجسدتْ عيونُ حبيبها تهتزُّ برموشها قائلاً بصدقٍ: عزيزة، بحبك يا عزيزة، بحبك، بحبك أوي.

ترقرقتْ مآقي عزيزة، وانتفختْ الأوداج قائلةً بشفتيها المقلوبة الملتهبة: بحبك يا محمد، أنا كمان بحبك، وحياة سيدي المنصوري بحبك، بحبك يا محمد بحبك.

حينها تركها محمد وقفزَ فوق الساقية، حتى ذُعِرَتْ عزيزةُ وصرخَتْ: محمد حاسبْ يا محمد.

نظرَ لها محمد بلا مبالاةٍ قائلاً كأنَّه يتحدى العالم بشفتيه الناعمتين الورديتين النضرتين: الناس عايزة إيه من محمد، محمد يا عزيزة، محمد.

بكتْ عزيزةُ وهي تنشجُ بصوتها الناعم: لا يا محمد، لا متقولش كدة، أنا هاموّت نفسي علشانك دلوقتي.

دبّتْ الكلمةُ في قلبِ محمد كالصاعقة، حتى قفزَ في ثانيةٍ بخفة الصبا ورشاقةِ الفحولةِ حتى صارتْ عزيزة بين ذراعيه قائلاً لها وهو ينظر في بحور عينيها: عزيزة، بحبك يا بت، بحبك أوي، أوي... أوي... أوي يا عزيزة.

استفاقَتْ عزيزة وهي تحتضنُ وسادةً لدنة، بأناملٍ مرتعشةٍ متشبثةٍ بعنفٍ، وعيونٍ داميةٍ كجمرةِ نارٍ، وصوتٍ يهتزُّ كسلكٍ عارٍ يلفظُ محبةَ الأنفاسَ الأخيرة.

وهي ترددُ بحرقةٍ وقهرٍ ميؤوسٍ، كثورٍ ملجمٍ بالنهايةِ، حتى أدمَتْ شفتيها: محمد، محمد، محمد.

....

وقفَ الأبُ وهو يشيرُ لابنه الوحيد، ويستحلفه بكهولته المسنة الضعيفة، بصوتٍ أضاعتْ ملامحه الهن: كده يا محمد، كده يا ابني، العمر راح يا ولدي، أنا وأمك عجايز يا ابني، يرضيك الشيبة يا محمد.

شعرَ محمد بوخزِ الضمير، حتى قال بسعةِ قلبهِ وكلّ رجولته المتفجرة: لا يابا متخفش أنت وأمي، دانا محمد، محمد يا ناس، أنا العزة والكرامة يابا، أنا ابنك وهفضل ابنك محمد.

خرجَ العجوزُ من صمته وهو يبحثُ عن ابنه الوحيد قائلاً: أبوك ضرير يا محمد، وأنتَ سندي يا ابني.

وخزتْ الخناجرُ أضلاع محمد، وشعرَ بالمسؤولية قائلاً: ال يحتاجه البيت يابا يحرم عليّ الجامع.

ابتسمَ الأب بعتمةِ عينيه، وهو يحتضنُ محمد، قائلاً: اسندْ أبوك يا ابني، أبوك يا محمد، سامحني يا ابني.

محمد وكادَ يبكي: أبداً يابا، سامحني أنت يابا، سامحوني يا ناس، سامحيني يا نفسي، علشان حبيت ونسيت نفسي.

....

تجلى النهارُ، حين دخلت الأم مكللة بالإفراج والزغاريد مهللة لابنتها التي مازالت حتى وقتٍ متأخرٍ نائمةً: النهار ده يوم السعادة والهنا، يومك يا حبيبتي، استيقظي يا عروسة.

استمعت الأم لنحيبٍ من البيتِ المجاورِ، حتى تركت ابنتها قيد غفوتها نائمة، حتى تطلعت وأيقنت الخبر الذي

جزعها، حتى دبت بقفصِ صدرها قائلة: يا لهوي على شبابك يا ولدي.

....

أتى الليلُ وتمضعت الأقاويل، حين قال أحدهم: يا عين يا ولداه، على اللي حَبْ ولا طالشي.

ثم قال رجلٌ مجاورٌ له: ماتوا من حسرة الفراق.

ثم قال آخر: زينة الشباب وست العرايس ياناس.

وامتلأ المكان بالنحيب والحزن.

حتى ارتسمتْ ملامحُ الفقيد والفقيدة، محمد وعزيزة، حتى قاموا بإيداعهما مثواهما الأخير.

****

" قطوف الياسمين "

لم يضع قطفة واحدة على كفه، إلّا وتلوعَ وهاجَ وماجَ وبكى مثل الطفل: أريد الياسمين، أحب الياسمين.
مرَّ رجلٌ واهن العمر يسأله، حينما رثى بحاله، فهو هيئة رجل كامل إنّما عقل طفل: هل أجلب لك زهرة من الياسمين يا بني؟!
وعاد عبد الرحمن يبكي: ياسمين، أريد ياسمين.
هو لا يريد منهم شيئاً إنّما يريد منها، منها فقط، صاحبة الكفوف الملساء الرقيقة، بالرغم من أنَّه يأتي لهذه الحديقة تكراراً إلّا أنَّه لم يصادف بحياته، ما أخذه إلى هذا الشعور والمذهب، لثمته احتضنته، أغمدتْ في كفوفه الياسمين ورحلتْ.
قالت مارة بالطريق: اعطوا له ياسمين، سبحان الله إنَّه ملاك الرحمة.
يقفزُ عبد الرحمن صارخاً، وهو يتلو بصوته الغبر الجهري: ياسمين ...ياسمين...

يقترب منه رجلٌ من أصحاب الدين مبتسماً: قل يا عبد الله، ما حكاية قطوف الياسمين؟!

يصرخُ عبد الله، ويقفز بطريقة هستيرية، بلا وعي: ياسمين... ياسمين.

يجلس عبد الله تحت الشجرة خائراً، يتذكر تلك الأيادي البيضاء الناعمة التي وهبته قطوف الياسمين البيضاء، يقبّلُ زهرة الياسمين البائدة التي كانت سبباً في هلاكه، ناظراً للسماء دامعاً: ياسمين...ياسمين.

****

"عادل"

وقفت المرأةُ في حالةٍ من الرثاءِ، وهي تنعي ابنها الوحيد بقليلٍ من الكلماتِ التي تضافُ لتهدئَ من الروع وألمِ الفِراقْ، في هذه الأحيان... إنما رأتْ أنَّ الواقعَ فرضَ أقدارهُ، ولا بدَ من مواجهةٍ حتميةٍ للأمر، خاصةً أنَّ الماضي كان رصيده فارغاً من ذكرى الرحمةِ والمودةِ والحُبِّ.

حتى انفجرَ عادل بهستيريةٍ وجنونٍ، وهو يتشبث بالشاهدة صارخاً: بابا... حبيبي يا بابا.

لم يرُق لعدلات الأمر؛ فاقتربتْ من عادل قائلةً بكلِّ هدوء وهي تشيرُ للسماء: عادل حبيبي، إنَّه أمر الله.

ينتفضُ عادل بلا وعي: كيف حدث ذلك، لا أستطيع أن أصدق، بابا... بابا!!

عدلات تتذكرُ الأيامَ المؤلمة التي كانت تتمخضُ بها في عصر المرحوم، حين صرخ وجنَّ جنونه قائلاً وهو يشير على غلامه الوحيد: اجعلي هذا الوغد يغربُ عن وجهي، فاض بيَ المطاف، مللتُ منكما عائلة غير مريحة.

وتحدثَتْ عدلات في خلدها: هل رأيتَ العالم الأكثر راحة الآن يا أبو عادل؟!

رحمة الله عليك، فليسامحكَ الله.

انتفضَ عادل، عندما أشار بعض الأقارب عليه ثوب الرحيل، لكنه في نهاية القصيد رحل.

انفرج البابُ مواربًا يظهرُ مشهداً، أكثرَ هدوءٍ، ومنه ينبعُ السكون، حين جلسَ عادل على كرسي الراحل المفضل، حين اقتربتْ عدلات من ابنها الوحيد تشدُّ أزره، قائلة وهي تنظر للوحة الراحل المعلقة بشعورٍ لا ينمُ على تعبيرات: رحمة الله عليه.

حتى ربتَتْ على منكبيّ رجلِ البيتِ الجديدِ عادل، تحدهُ بنظرةٍ فيها الكثير من المعاني وتحمّل الأثقال، نظير أحمال المسؤولية. حتى فاضَ عادل بالصبر، وتنبأ بروح الراحل الذي لو استطاع أن ينحني ليقبلَ قدميه، مقابل ذلك لو يعود لحظة.

****

" إلى ماما أتحدث "

لا تسألي كثيراً عن هذا وذاك، فقط انظري بعيون الجيل، هل تعلمين يا ماما عن الحُبّ كثير؟!.
أوه بالطبع أعتذر، كلّ الأجيال تختلف، وقد تذكرتْ المسرود منك ماما، حقاً لم أنسَ، إنّما ما معنى الصمت فيك؟! أعلم حين تنظرين إليّ بحركة تنمُ عن عتاب، أعلم يا سيدتي أنَّ الراحل أبي من وضعك بهذا المنفى... كرسي متحرك، إنّما نظير ذلك أودعك بالمستشفى، حقاً فقد سمعتك بدون أن تتحدثي، عنه تقولين: هو القاتل، هو القاتل.
هل تعلمين ماما؟! أبي بالطبع هو كذلك، أراد أن يصحح الخطأ، هذا الفعل أشبه بغسيل الأموال، السرقة النصب الاحتيال، ثم الشعور بتأنيب الضمير، إذ يكون اللجوء إلى غسيل الأموال.
عفواً منكِ يا ماما هناك عند المستقبل، يقولون؟؟
هل تتساءلين ماذا يقولون؟؟ يتحدثون عن المعارك والظلم، يجهرون في البلاد... أنقذونا... أنقذونا...

يقتلون الأبرياء... يهتكون الأعراض... ويسلبون الحقوق، هل تسمعين ماما عن صراع الأجيال، وعن الواقع والمحال.

أتذكرك جيداً، عندما ضحكت وقلت ذات يوم: متى الارتباط؟! طالما سألتك: الارتباط... ما معنى الارتباط؟! تحدثتِ حينها عن سنة الحياة، وقُلتِ... ها هو العالم مثلك، أعتذر ربما لم أفهمكِ، فطبيعتي الانجليزية، تجعلني لا أفهمك، مثلما كان بابا يقول، أما الإيمان والإسلام الذي رسخ في قلبي يا ماما، يجعلني أفهم العالم أكثر، هذا هو الغرض ماما، كم وددتُ أن تتغير الرحمة عند الشعوب، تنتقل بين البشرية، إنّما هناك الرأفة بالحيوان أفضل في أعينهم... تُرى هل سنتغير؟! هل تدركين ماما، وقد رأيتُ في مرضكِ وجلوسكِ هذا، نتيجة توحش العالم، الصراع والضغط النفسي، الخديعة باسم الحُبّ والخيانة باسم الحجة، ماما... هل تودين أن أكون نتيجة الواقع، ورفات المستقبل.

انظري ماما أنا شجرة انجليزية، في أرض إسلامية، تودين لي عالم أفضل مع أنّكَ، عن الواقع تعلمين سر الخديعة والتاريخ يشهد.

كيف لنا أن نهرب من الحداثة؟! ونعيش بأمان، الحداثة أصل الإصلاح والفساد، العولمة أصل السلطة والنفوذ، والعالم الافتراضي ابن العولمة، كيف لي أن أستقر، بين كل ذلك؟! من أين يأتي العقل الذي لا يمسه شيطان التطور، الطمع والتنازل، ماما أعلم أنّك تحملت، وأعلم أنّني تعلمت، تبصرت ما خلف الأزمان، وأضحيتُ أرى العالم أفضل، الثقافة يا ماما الثقافة، إنّما هل تدركين؟ كنتُ أودُ ألّا أتعلم وأدرك، ربما كنت أعيش في جلباب الجهل أكثر أماناً.

****

قصة الرعب " **سارة** "

كأنّني أرى الحدث يتقارب، الطبول تدق والكفوف تصفق، الخطر حقاً يقترب، كيف لا أتناسى وأنا أمد من الزمان، سارة لم أكن أقصد الشجار.
لا أذكر من بدأ، في تلك الأحيان تمت، الضفوف تقترب، أذناي...أذناي... سارة...توقفي سارة... لم أكن أقصد... لماذا ترنحت عند الهاوية... سارة احترسي سارة... لم أكن أقصد أن أقذفك من عند الروف سارة... سارة أبعدي الدفوف والطبول عني ...لم أكن أنا الجاني سارة...إنّه القدر ... سارة... سارة... ماما... ماما لم أقصد ماما ... ماما.
ماذا هنالك سارة؟!
ماما لم أقصد ماما.
هل تقصدين رحيل سارة؟!
نعم هي سارة، وأنا سارة.
عزيزتي هي رحلت في سكينة عند الرب، لا داعي للعذاب، إنّه قضاءٌ وقدر.
ماما... لماذا تضحكين ماما؟!

ماما لا ماما... من أنتِ؟!

ملامحكِ غريبة... ماما... ماما لم أقصد ماما.

سارة... سارة ماذا بكِ يا عزيزتي؟!

لماذا تضحكين؟!

أنا أبداً لا أضحك، يا عزيزتي.

ماما، كنتُ خائفةً منكِ ماما.

من والدتكِ يا سارة، اذهبي إلى غرفتكِ عزيزتي، عليكِ أن تغفي قليلاً.

حاضر ماما، حاضر.

....

سارة يا صديقتي، أحبّكِ ولم أكن أقصد، لا تعودي سارة، الطبول تعود ابتعدي لو سمحتِ، من فضلكِ اتركيني، أنا ارتجف... ارتجف يا سارة... ابتعدي أنا أراكِ بوضوحٍ...

لماذا نحن فوق الروف؟!

نعم علمت أنه الانتقام سارة، إنّه الانتقام.

ماما ...ماما... أنقذيني ماما...

سارة... سارة... إنّي أسمعكِ، أين أنتِ يا بنيتي؟!

ماما، إنّه الانتقام، الانتقام ماما.

سارة، أين أنتِ يا عزيزتي؟! يا إلهي لماذا... لماذا سارة؟!

كيف فعلتِ ذلك بنفسكِ؟!

لماذا الانتقام من النفس... سارة يا عزيزتي... كيف تجرأتِ أن تلقي بحتفك من الروف، يا إلهي... يا إلهي...

ذهبتْ سارة ورفيقتها سارة.

****

" بقايا الحب "

كفت عيون الأم التي بكت مطولاً وهي تترصد ابنتها المسجاة على مرقد الموت، تتأسى بتلك الفتاة المسكينة، التي عندما أحبت بصدق، كان مرضها حالة مزرية.
ولم تنسَ هذا الصباح الذي تراقصت به سناء بكلّ الحب، وبكلّ أمانٍ وصدقٍ، عندها جذبت سناء يد الأم وتراقصا سويةً، وهي تهمس للنسيم وتقبل الشمس، ماما... ماما، أنا أُحُبُّ يا ماما.
إنّما يبست الأم كأنّ صاعقة دوّت المسامع، سقطت تتهافت بالبكاء، حيث تنبهت سناء بسؤالٍ يحجب بينها وبين الفرح متسائلة وهي مندهشة: ماما لماذا تبكين، ما الذي حدث؟! أمسكت والدة سناء عن البكاء وهي تلتقط أنفاسها، قائلة: كلّ الحكايات تؤكد، أن ابنتي الوحيدة أحبت.
سناء تتعجب وتنبهر: إذاً إنّها ليست مشكلة.
والدة سناء تعاود للبكاء وهي تعبر بأناملها المعروقة متخوفة: ألا تدركين ما هو الحب؟!
ألا تدركين؟! لماذا الرجل يقول للفتاة، أنا أُحُبُّكِ.

ألا تدركين ما يكون بعد الحب.
ونتيجة الحب المذهلة، ألا تعلمين يا بنيتي، ماهي النتيجة؟! إنّها بالطبع مشكلة.
سناء لا تستوعب مما سمعت قائلة بتحدٍ، وبكل تلك الاحساس الذي يتجاوب مع انهمار
الدموع الساخنة والصوت المختنق الذي يكاد أن يطهق:
ماما ألا تعلمون معنى الحُبّ، ألا تعلمون معنى القلب عندما يدق، ألا تعلمون معنى الأمان والثقة، ألا تعلمون القرار والإيمان بهذا الحب، ماما أبداً لم أحُبّ من قبل، إنّما الآن أنا أحُبّ، أحُبّ يا ماما.
تنبهت الأم عائدة من مضيها، إلى ابنتها الوحيدة، وهي ترقد في المستشفى، ترى في عينيها الضباب وفي وعيها الغياب، وفي جسدها جثة متأهبة للرحيل، وقالت وهي تنظر للسماء: سبحان ربي الحافظ.
حينها رأتْ ابنتها تتجسد في عنفوانها وهذا العناد الأكيد، تصارع العالم بكلِّ أسلحة المقاومة، صوتها يتردد بالبراح: لا تتحدثون كذلك عن الطهر، لا تتحدثون عن عمري وحياتي وكلّ العالم، ماذا تقولون؟! إنَّ العالمَ

كاذبٌ، إن الحياة كاذبةٌ، إنّ الحُبَّ والصدق كاذبان، ماذا تقولون عن حبيبي؟! إنّه أبداً لا يخطئ.

لم تسع الأم إلا وهي قائلة: البراهين يا بنيتي، للأسف تلك هي البراهين.

حتى قالت سناء: ائتوني ببرهانكم هذا.

قالت الأم كلمات قطعت بها حبل وريد العشم، وقتلت اللحظة الوحيدة المتبقية في قلب ابنتها من حب وكبرياء يعانق هذا الحبّ في صمود: انزعي تلك الأفكار، فقد تزوج حبيبكِ بأخرى.

لم تسع وحيدتها الصدمة المدوية، حتى تلاشت في صمت تعدى الأعوام، وبقيت فتاة مسكينة راكدة، جسدٌ بلا روح بلا إحساس وبلا أدنى حركة، لا ترى إلّا وجهاً واحداً وكلمةً

أخيرةً وإحساساً واحداً وصوتاً واحداً يردد دائماً: سناء أحبك سناء، أحبك، أحبك.

نظرت الأم نظرة مودعٍ وهي تهم الرحيل، قائلةً: سناء، سناء هل تودين شيئاً؟!

ارتعشت أجفان سناء ودمعة حارة انهمرت من مآقيها، كأنّها تعترض على هذه المواجهة القاسية التي ألقت بها

الأم في وجه ابنتها، قنبلة تدوي المسامع، وتنزع القلب من أرضه التي كان يحيا، في جنة نعيم ثباتها الحب.

****

"رحيق بلادي"

في صَباحات، تَجلّت شُموس البِلاد، نظر الفتى من نافذته بالدور السفلي نحو صَدى الأصوات، يَتعظم بالهيئة وإجلال البيان.

استرقَ السمع يصدح...تحيا مصر... تحيا مصر، أشارت خلجات نفسه الطمأنينة والهوس الروحاني.

رددَ: تحيا مصر... تحيا مصر، وكأنّ جسده يسبح بنسائمِ الطُهر في صلوات العبادة.

نظرت إليه عين أمه الحارسة تسأله: ما بك يا عبد العليم؟!

عبد العليم مسرور النفس: إنّني أقول مثلما يقولون.

قالت الأم وهي تبحث بعيونها: لكنّني لا أراهم.

عبد العليم وهو يبتسم: بالطبع أنا أيضاً.

قالت: إذاً لماذا تردد؟!

قال: راقت لي هذه الشجرة اليانعة.

قالت الأم: هذه الشجرة ليست منبت بلادنا كشجر كثير يشّبه عليها، والأصوات التي تسمعها لا تحيي هذه الشجرة.

قال عبد العليم: إذاً لمن الأصوات؟!

قالت الأم حين أخذته خلف هذا الحشد الهائل الذي كان يقف كالجنود في المعركة، أبطال الحماسة والنضال، حين انكمش عبد العليم لشدة المشهد، وهو يجذب طرف خياط أمه الاريح ويختبئ خلفه.

قالت بشدة وحزم: لا وقت للاختباء.

قال عبد العليم: هل هي معركة ؟!

قالت: إنّهم يستعدون.

تمتم عبد العليم: ولمن يقيمون التحية؟!

قالت الأم بقمة الافتخار: التحية لعلم بلادنا.

أشار عبد العليم بسبابته الصغيرة.

لماذا هذه الشجرة خلف العلم؟!

قالت الأم بلكنة غروبها الرثاء: منذ القدم يا بني وهذه الشجرة خلف العلم، بل سترى أشجاراً كثيرةً يا ولدي تترصد الأعلام.

قال عبد العليم: هل أحيي العلم يا أمي؟

قالت الأم: فلنحيي العلم وأرض العلم.

****

قصة الجريمة " **ويتجلى المحظور** "

ماذا دهاكم أيّها الأقوام تمادى المغيب، ونحن نواصل في البيت الكئيب الحزن، علينا من هنا البحث، الإطلاق، الانطلاق، استفيقوا.

مسكينة ومتغيبة الوعي، هذا ما قاله الضابط في لحظة تجلى بها الموقف، حين آثره الطبيب الشرعي بالوعي، لما طرأ في سلوك أخت الفتاة المتغيبة، حين جلس الضابط وقرر الاستحواذ لكلّ من أفراد العائلة بدأ من الأب.

كانت عائلة المفقودة مكونة من الأخت والأب، أخت صغرى ثلاثينية العمر، والكبرى يناورها عهد الوقار تلزم وتحزر.

انغلق الباب المصفد على عفرة داهمت النفوس بوطء ثقيلة الوزن، أخرجَ الضابط من جيب بنطاله قداحة وحوزة من السجائر، نظرته أخت المفقودة بلمحةٍ خاطفةٍ، قائلة: طالما حاولت البنت الشقية وكنت خائفة عليها أبكي.

قال الضابط وهو ينظر من نافذة مطلة على البراح: الحرية دائماً دافع لكلّ الأشياء.

نهضت أخت المفقودة، وقد فرجت الستائر المنسدلة في عنفٍ، حين أشارت إلى البراح الذي يتغنى بأشعة الشمس وأزهاراً عطرة، حيث قالت: برغم الحرية نحن حراس على أخلاقنا.

قال الضابط باهتمام: وهل تتهمين شخصاً قائماً على الاتهام؟!

قالت الأخت: لم أرَ ولم ألاحظ.

....

نظر صاحب الهيئة المفرطة إلى الجثة التي طرحت أمامه بعمر الفتاة الثلاثينية، ملقاة في وضع كان من المفترض أن يكون دفاعياً، إلّا وهي من وضع مرقد الجثة ماتت حليفة حظها الأسود فجأة بدون قصد نية.

حالة من الدهشة أخذت الرجل النهم أخرجته من وعيه، حين قال: يا إلهي ماذا فعلت؟!

تالله ماكنت أقصد، بعد أن أتم جرماً، أسرع نحو الجثة يتفقدها، يتبين الحياة من الموت فيها، أسرع نحو الهاتف، تحدّثَ: هناك مأزق.

انفرج الباب دخل رجلٌ ضخمٌ ينظر للفتاة الثلاثينية، وهي مطروحة أسفل النافذة في صورة درامية، إلّا أنّه لم يعتبر لها قائلاً لصديقه: لماذا قتلت هذه الفتاة؟!

قال القاتل: لقد اكتشفت الأمر.

قال الأخير في ارتياح: إذا نالت جزاءها.

ثم عاد الأخير يسأل: وماذا بعد؟!

قال القاتل: نحن في إطار سكون الليل وطالما كانت أشخاص ماتت أسفل الطين لم يعلم عنها شيئاً.

قال الأخير صاحب الجسد المهوّل: إذاً قد تم الأمر.

انزعج الرجل في إشارة من الحزن والألم قائمة على أجفانه متأثراً بما تم، حيث أخذته ارتعاشةٌ كانت تناوره بالهزل كل دقيقة، بعد تلك الصدمة التي على أثرها تم الأمر.

قال الضابط وهو يرفع صوته، لسوء سمع الكهل: يا عم صابر.... يا عم صابر.... هل تسمعني؟!

نظر عم صابر بعينيه الضريرة، يحاول أن يسترق السمع.

قائلاً بوجهه الذي ظل يتجه يميناً ويساراً، بصوتٍ منخفض من عن بوجٍ مكتومٍ.

أعاد الضابط النداء.

حتى أشار له عم صابر، إشارةً تقول أنّه في تمام الإنصات.

عاد المحقق متسائلاً: عم صابر... عم صابر، هل لديك ما تقوله عن غياب ابنتك، هل تعرف المزيد.

أشار عم صابر بيديه الضعيفة المعروقة نحو السماء يبسطها، يتمتم وهو يوحد، متمتماً: منه له، منه له.

هنا جلست نجوى صديقة الفتاة في خوفٍ وخجلٍ وبهتانٍ ورعبٍ، حين سألها الضابط بصوتٍ جهورٍ، وهيئةٍ مهيبةٍ: نجوى، عليكِ أن تتحدثي بما لديك على أكمل وجه، صديقتك تغيبت وربما لم تعد.

خرجت نجوى عن وعيها المهزوز المتكل على سرٍّ صغير كان بينهم، حين تذكرت مقولة المفقودة: احذري أن تخبري أحد.

تمالكت نجوى من الجد نفسها قليلاً حين باحت: كانت تبكي بحرقةِ تلوعٍ، كنت أحزن وأشعر بالأسى نحوها أتساءل: ماذا بك يا صديقي؟!

كانت تموء مثل القطة في نكوس الانكسار: الحُبُّ... الحُبّ يا نجوى.

طالما نصحتها، وتذكرت يوماً حين قالت: سأذهب إليه.

بينما كنت أخشى فبدرت مني ارتعاشة تجسدت في ظل الأقوال: لا يا صديقتي لا، ما هذا الحُبّ الذي لا يتعدى أيام وتعطيه الأمان؟!

قالت: أنا أثق به.

استكمل الضابط حوارها: ثم ذهبت.

قالت نجوى: يا ليتها ما ذهبت.

....

توقف الضابط عند مسألة بعض الجيران الذين أيد بهم الظن، تلك المقابلات الغريبة التي كانت تتم بين الرجل والفتاة المجهولة.

....

جلس متكدر الوجه منتفخ الأوداج حين تمضغ الغضب أثره، وهو يقف معكوف الأذرع يلازمه الصمت المستشيط تتصاعد منه أدخنة الظن والسراب، حيث ناوره الضابط بمواجهة: ليست المرة الأولى أيّها الوسيم، تاريخك الحافل يقول ويشهد.

قال المتهم: عما تسأل عنه، أنا لا أعرف.

قال الضابط: الأقوال تشير إليك بأصابع الاتهام.

المتهم: الاتهام بلا أدلة، أين جسم الجريمة؟!

الضابط بنفاذ صبر: أنت رهن الاعتقال.

....

جلس الطبيب الشرعي، يقرأ رسالة من المعمل الذي أتى بها، بعد أن أتم التشريح والتحليل، قائلاً: تم القتل في تمام الساعة، الثالثة عصراً، وتبيّن من التحليل والمتابعة أنّ المجني عليها قتلت غفلةً بطلق ناريّ كاتم للصوت صوب رأسها، أفضى بها إلى الموت مع سبق الإصرار والترصد.

سكت الطبيب برهةً، ثم قال: لكن، ما الدافع من وراء قتلها؟!.

الضابط يقول بأسى: التاريخ يعيد نفسه، المجرم ساقط نفس متعدد السقوط.

الطبيب مازحاً: أفاض حالي.

الضابط يوضح: هذا القاتل يحيط بمنزله الريفي الشبهة، حيث كان يزرع المخدر في أرجاء محيط بيته، وحين تنبهت الراحلة من الأمر، خشي أن تبوح للآخرين، فغدرها من الخلف، ولاقت مصرعها بالحال، وهذا ما شهد به صديقه الذي تبين من التفتيش أنّه الذي قام بدفنها في محيط باطن الدار.

الطبيب الشرعي: هنا تغلق القضية.

الضابط: لن تُغلقْ القضية أبداً، طالما هناك عقول ساذجة صدق ومشاعر هاربة من بيوت ليس فيها احتواء.

الطبيب: دائماً يتزايد معدل الجريمة بتزايد معدل النمو.

الضابط: وتزايد الفعل الإجرامي بنقصان الوعي.

الطبيب: الفلاسفة العلماء الشيوخ والمعلمين وأصحاب الخطى المعنوية.

الضابط: آه، لو تعود الأدوار إلى نصابها، لتغير الوجود.

الطبيب: إنّما الفعل الإجرامي لن يتغير.

المحقق: نعم ما يداوي الجراح سُمّ.

****

"عوضين"

يتلألأ النهر في ربيعه حتى ارتخى عوضين مستجماً في قمة المتعة وراحة الأبدان، يتجاوب من خلالها راضياً عمّا جرى لحاله، مستأنساً بنفسه: (دايماً معايا يا حظ)، إلا من ذكرى أتت رفضت الاشتراك في هذه المهزلة، حتى نفض بسمة متأملة في رفات الماضي، الخضار والراحة والسعادة، تنسحب مثل ظلٍ أسود رويداً رويداً، إلا من هذا الصوت الكئيب لصديقه سعد الذي صدح بحسه قائلاً: ضاعت فلوسك يا عوضين، ها تقول إيه لأبوك يا عوضين، ها تقول إيه لأمك؟!

أفاق عوضين من مراسم عزاءه، متفصداً الحسرة متمضغ المرار: الشكوى لغير الله مذلة يا سعد، منه لله يا سعد.

سعد يندهش من رد فعل عوضين حائراً متسائلاً:

وأبوك وأخواتك وأهل البلد ؟!

عوضين ينفعل بسجيته باكياً: منه لله.

....

يجلس عوضين تائهاً غائب الوعي وبلكنته الريفية يبوح بواقعته: ضحكت عليّ و قالت لي تعالَ يا عوضين، قولت لها جيلك، قالت لي: تعالَ وهات فلوسك يا عوضين، قولت لها: إلا الفلوس لا، دانا أبويا يروح فيها، شقى عمري وعمر أبويا، أمي باعت ذهباتها وأبويا باع القرطين، أنا قولت لها: آجي يا بيه دانا بحبك، قالت لي: تعالَ وهات الفلوس، ماكنش يعرف عوضين إن الجنية عايزة الفلوسات مش عايزة عوضين روحت عشان السترة، سترتها يا بيه، أيوة سترتها و راحت، راحت فين يا بيه؟...راحت فين يا سعد... راحت فين يا ناس ....أقول إيه لأبويا ...أم شعر أصفر خدت الفلوسات، ضحكت على عوضين، عوضين هايروح فين ويجي منين يا بلد.

يشعر المحقق بشيء من التعاطف قائلاً: لا عليك يا سعد سنرى ما يمكن فعله.

سعد يحاول أن يستوعب ما يقوله المحقق: فعلاً، يعني ايه فعلاً يا بيه؟!... ما خلاص... خلاص يا بيه...

عوضين يقترب من المحقق هامساً، يكرر كلماته غير مدرك بوعيه.

قالت لي: تعالَ يا عوضين، قولت لها: جايلك، تعالَ وهات فلوسك يا عوضين، قولتلها إلا الفلوس لا، دانا أبويا يروح فيها، شقى عمري وعمر أبويا، أمي باعت ذهباتها وأبويا باع القرطين، أنا قولت لها: أجي يا بيه دانا بحبك، قالت لي: تعالَ وهات الفلوسات، روحت عشان السترة، سترتها يا بيه والصباح راحت، راحت فين يا بيه؟!

المحقق ينظر إلى عوضين في صمتٍ وحزن، واستشعر أن بدا بعقله خلل جراء الصدمة.

يعود عوضين متسائلاً: راحت فين يا سعد، راحت فين يا ناس، أقول ايه لأبويا، أم شعر أصفر خدت الفلوسات، ضحكت على عوضين، عوضين ها يروح فين ويجي منين، أودي وشي فين يا ناس.

****

" مَنْ جون "

هالو آدم... هل تتذكرني يا صديقي، أنا جون أدريان، هذا الحدث لن تتناسى إياه.

عند النهر يا آدم وهذا الكوخ الصغير، أعدَتْ لنا أمي العجوز الطعام، حين رأيتك لأول مرة وأنت تصلي، حينها قلت لك كلمات كثيرة: هاي أنت ماذا تفعل؟!

رأيتك في هذا الثبات والالتزام، عيناك تنظر وقلبك يدق ويداك على ظهر قلبك... لم أتمالك نفسي حين ضحكت، إنما بدا لك الأمر أنّه لا محال، أنت بالطبع في تواصل.

حين سألتك: مع من تتحدث آدم؟!

قلت بعد الانتهاء، وأنت تشير للسماء: أتحدث مع الله.

اقتربت مني تتساءل، هل أعرف الله؟!

هل تذكر ماذا كانت إجابتي، بعض الكلمات غير المفهومة، حاولت حينها أمي تلك المرأة العجوز أنْ تفهمَ، ما أقول.

تحدثت معي كثيراً آدم، كلّ ما أتذكره، أنّني بكيت وندمت، وقلت لك، يا إلهي لقد شعرت بالندم الشديد.

رحلت آدم وتركت صديقك جون، في هذه الحيرة.

هل تعلم آدم، جون ماذا يقول لك اليوم، السلام عليكم، هل تعرف لماذا؟!

لأنَّ جون الآن، هو مسلمٌ، يعرف الله والدين، أنا أصلي أقول الله أكبر.

آدم صديقي العزيز، هل تذكرتني آدم.

****

" إبراهيم "

ارتمى إبراهيم على الكرسي المقابل، وكأنّه انفض كشوالٍ من الغبار، أسقطته الأزمنة سقوطاً على غاية، حين ألقى الضابطُ بحتفِ اللحظةِ، كلامٌ في صورة سؤال، وقد بدا الضابطُ يشعرُ تجاه الرجل بشيءٍ من الرثاء.

حتى خطفه البصرُ نحو النافذة المجاورة، حتى تألقتْ الملابس البيضاء للسجناء، أخذ الضابطُ على الاهتمام وعسير من سؤال: إبراهيم، ما الذي أتى بك إلى هنا يا إبراهيم؟!

نظر إبراهيم نحو ساعة معلقة على الجدار الأمامي، وقال: ما الفائدة يا بيه، في كلِّ الحالات، أنا هنا.

قفز المحقق من كرسيه التفَّ من خلفه دفعه للكرسي، جعله يدور لاهثاً، اقترب من المسجون أدناه قائلاً: أنتَ لست ملك نفسك.

نظر إبراهيم منكس الرأس، وهو يستمع ويرى هذه الأصوات، عندما باتت تلك الضجة تتلاشى من خلفه كالعدم، وهم يقومون بتوديعه.

أعادَ الضابط إبراهيم إلى عالمه: يشهره إلى حقوق نفسه، وماله عليها.

إنما ما عليه كانت محنة قاسية خرجت من جلباب التنكر، إلى أشواك الصبار، حتى نهنهت الأم في حزنٍ قاتمٍ تتلفظ بالشؤم: يا عيني عليك يا بني.

حتى اندفعَ إبراهيم نحوها قائلاً: أنا بريء ياما.

ثم رأى الأب منزوياً بجدار الحائط، مال قبّلَ قدميه باكياً: أنا بريء يابا.

ولوَّحَ لأخته الوحيدة: أخوكِ بريء يا نجوى.

خرجت نجوى عن شعورها قائلاً: أبيه إبراهيم مش ممكن مش ممكن يا أبيه مش ممكن.

حتى انفرطَ الأب من البكاء بنشيجٍ متمتماً: منه له، منه له.

هاج وماج إبراهيم: صدقوني ياناس، يا خلق ياهو إبراهيم بريء، بريء ياما، بريء يابا، بريء يا نجوى.

انتبه إبراهيم على صوت الضابط، وهو يخرجه من لحظات الماضي العسيرة، قائلاً: إبراهيم عليكَ ذكر الإدانة.

استمع إبراهيم لهذه الكلمة، حتى صار مثل الثور

الهائج، يجري نحو سياج النافذة، يصرخ ويبكي: أنا بريء يا عالم بريء ياهو، بريء ياما، إبراهيم بريء يا ناس، إبراهيم ... أشرف إنسان على الأرض.

****

" المكان " (قصة بوليسية)

اندفعَ الظن من العقول، يجاور الوجوه بتعبيرات قاسية، تكررت المأساة في منوال تلك اللحظات التي أدت إلى نواحي الذكر المختلفة، للمشاهد المتعددة توحي لرسالة واحدة، لهذا الطيف الغريب، منذ ذلك العهد، تعود الناظرين عليه، عندما كانت الروح حية ترزق.

أطلس، أطلس، قالت الكثير عن هذا ولا شيء يشبه الحقيقة، قال العم فاروق كلماته متحمساً بالجد.

حتى تخاطب الحج عمران: بما لا يناوره الشك، إنّ أطلس هي بنت ساذجة وبريئة، ولا يخامرها الشك أو الكذب بحسبان.

قال العم فاروق بفكرة وليدة اللحظة: كيفما لا يراودنا اليقين بأبيها الحج محسن؟!

الحج عمران يؤكد: علينا الاتكال على الله في ذلك الأمر.

اضطجع الحج محسن في تمام جلسته المعهودة، قائلاً برثاء نافراً لأخته النرجيلة بنفاد صبر: كم احترت نفسي طريق الصبر، وكان الوعد الذي قطعته بيني وبين أبنتي

الراحلة هو الكيل الذي قسم ظهري، أطلس، أطلس، ماذا ستفعلين بنا يا أطلس؟!

قال الحج محسن هذه الكلمات، وبدتْ عليه الحيرة والقلق من فكرة المجهول، عندما يأتي.

إنّما ما لم يكن له، رد فعل الاحتمال.

تجلى المحقق رمزي في هيئة شديدة البنيان، وهو يؤكد أنّه من تو اللحظة سيتولى القضية.

بهت الحج محسن وكاد يبكي قائلاً: أطلس، بنت ابنتي الراحلة الوحيدة، وكنت لا أحب، أن أقول ملاحظات عن بعض الأشياء.

انتبه المحقق رمزي متسائلاً: عن أيّ الأشياء تتحدث يا حاج محسن؟!

الحاج محسن: في بعض الآونة، هي تفيض بالخيال يتجسد، ترى بعض الشخوص لناس رحلت من أمد.

سأل المحقق باهتمام: من الراحلين الذين تحدثت عنهم بالرؤية؟!

الحاج محسن يؤكد: أخي الذي رحل من أعوام، وابنتي الراحلة، وأشياء كثيرة أيضاً، بل يشهد الجيران على ذلك، أطلس تحدثي بما تريدين، أنا هنا لأسمعكِ، تلفظ المحقق

بهذه العبارة، حتى راودته أطلس بنظرة باردة متفوهة بثبات: هم يقولون أنّني مجنونة.

المحقق: بيديك أنتِ الاثبات، لخلاف ذلك.

أطلس تقف منتصبة بحدة قائلة، وهي تهمُّ بالرحيل: هل تعلم عندما يرثُ الأبناء ثروة هائلة عن أمهاتهن؟! ماذا يقولون عنهم.

صمت المحقق لحظةً، ثم تساءل: ماذا يقولون يا أطلس؟!

قالت أطلس: أنت ستجيب عن هذا السؤال، إنّما بعد البحث عن سبب الأقاويل.

رحلتْ أطلس وتركت المحقق في حيرة أربابها التنازع بين الكذب والصدق والصراع، حتى بدا له الأمر لغزاً موقوتاً، بتعدادٍ مؤقتٍ.

بعد أوقات عصيبة مرتْ، بين البحث والتحقيق والمتابعة للقضية، واحضار الشهود الذين كان لهم من الضمير نقاء وإشادات بعض الألسنة قائلة: نشهد والله بالحق.

حينها قال المحقق في شبه مرافعة جنائية:

حاج محسن، هناك أشياء فقط عليك أن تدرك الغموض يلح الاشارة إليها.

تنكر الحاج محسن من لجة الأمر قائلاً: لو كنت أعلم، عن ماذا تتحدث؟! المحقق بثباتٍ وانتصار: الآن ستعلم.
حتى ظهر الشخوص الذين قضي بهم الأمر، سيرة الأموات، فزع الحاج محسن، يشعر بالخزيّ، يلتجم بالصمت.
ينصله المحقق بكلمات مواجهة حتمية: ها هي الألعوبة تنكشف، الأخ الوحيد للحاج محسن لم يمت، إذا هو حقيقة، بل إن المرأة التي كانت تظهر ليلاً شبيهة لابنتك الراحلة، لو تسألنا عن السبب؟! كانت الإجابة:
أن أطلس أبداً لم تكن حفيدة الحاج محسن، لذلك رأى الحاج محسن، أن يثبت جنون أطلس ليكون وصياً عليها، من هنا كان حدوث ذلك خطة.
سقط الحاج محسن في ذهول من ثوب الحقيقة المتهتك الذي تجلى من أسفله، قبح الأحداث المروعة، قائلاً بحسرة: رحلت ابنتي، والآن ضاعتْ الأموال التي جنيت بدمائنا، رحمة الله عليكِ يا ابنتي.

****

" ياسين "

عم ياسين، علمك كم أضاف للجميع، بالطبع هناك ذكرى، لم يسألني القلق بعد مرور الأعوام، ويداك ترتعش من الوهن نظراً لهذا الزمن، أبداً لن أنساه يا عم ياسين.
حينها توقف الجدل، حين أعلنت الصمت، توقفت يد الحجة فاطمة في زهوٍ عمّا كانت تصنعه، تتساءل: ماذا جرى يا أولاد؟!
بالطبع وثبَ نحوها الأولاد يرتلون ما حدث، سعد وكريم وصالح في نفسٍ واحدٍ: الأوغاد، حتى عدّل عليهم صالح: الأعداء.
واستكمل سعد بحماسٍ وتنكرٍ: قتلوا الجنود على الحدود لا أدري خلاف المشهد هذا إن رأيت يا حاجة فاطمة، وقد بكيت حينها من شرفتي، حتى اقتلع الحزن قلبك الأبيض وأنت ترثين أبناءكِ الذين هم ليسوا أبناءك.
على الحدود عشنا ورأينا وعرفنا معنى الوطن، كأنّنا خلقنا لنحافظ على الحدود، إنّما لم استغرب يا حاجة فاطمة، فأنا أخت الشهيد، وبنت الشهيد، الوطن والحدود رسالة لهم،

نحن نحيا في ظلِّ الوطن، وإن متنا دفنا في تراب الوطن، الوطن مكتوبٌ على الملامح والجسد والروح والجبين، لا تبكي يا حاجة فاطمة، فقد تعودنا المواجهة لأنّنا أبطال في صنيع أرض الله.

لم أفهم حين تحدثتُ يوماً، عن حكاية جروٍ أبيض يتبع قطة، وكنت تنشرين المفروشات وتطبعين عليها كفيانا سكات، لقد تحدثت بالعدل، كنت تناهضين الإرهاب، وتتبعين الجناة، أنت

الوطن، يا حاجة فاطمة، ونحن الجنود في الأرض، ولم أرَ رجلاً يقدس امرأة مثل الحاج ياسين، يبكي من أجلك زوجةً وأختاً ووطناً، وأرضاً خصبةً، يحميها الله سالمة من الغادرين.

****

قصة الثأر " **جبروت امرأة** "

الأمر هو كذلك، مثلما تم، الصدفة ومحرك الفعل في إطار الحدث، هما اللذان لهم بحر الصراع في الواقعة عندما، كانت تناضل في عذابه وقسوته، عند هذا اليوم، تلفظت الحياة بالنهاية، قالت الدنيا: ها هي نهاية الطريق، لا غيرها.

الظلم والوهم والتمني والحلم، كلّ الأشياء تلاشت، ما بقي غير الجفاء في عين متحجرة، وعين ميتة، لم يكن باليد أمر فكرة بلا دراسة حازمة إنّما، حقاً كان ترتيب القدر.

.....

انطلق الصراع والبغض في صدر المرأة عندما شعرت بالإهانة والغلّ، كيف تكون هي تلك النهاية لزيجة مقرفة أبدية، لا نقود لا حرية لا راحة ولا آدمية، في هذه اللحظة جلست زوجة عدلي بعين تحسب الخطي من خلف نظارتها الثاقبة، جلس زوجها المخل بالحياة الزوجية، والمنكسر أسفل زهو وفحولة الرجال أمامها، تترصد أفعاله، حتى حمل الهاتف مثل خطيئته يلهث إليه

بعينيه، وقام مسرعاً بملامسة الرقم السري، تمضعت زوجته المسكينة الرقم، لا تدري لماذا تم الأمر.
إنّما في اليوم التالي كان الهاتف المحمول خاصتها الذي فرغ عالمه الافتراضي قد عاد لطبيعة أجواءه.
حقيقةً لم تتوقع راوية يوماً، إنّها ستنفذ ما تريده رغم كلّ الصعاب، تمارس هوايتها بالعالم الافتراضي، من خلال هاتف زوجها المصون، فبرغم قسوة الرجال والثقة المفرطة لكنّهم لا يدركون مع من هم يتعاملون.
بالطبع كان هذا اليوم، اخترقت راوية الخاص بزوجها بعد أن أدركت البريد الالكتروني، وأصبحت ترى رسائله وكلّ أعماله التي بات يحضر لها، حتى أنّها وضعت شخوص وهمية تنازعه صفقاته حتى بات يجن.
الحقيقة أن هناك في الأذهان ما أخذها إلى الثأر والانتقام، ولم يكن مقصوداً.
لم يكن مقصوداً أن يشبَّ هذا الحريق في مكتبه الفخم، ولم يكن مقصوداً أن يتهم في حيازة مواد مخدرة، لم يكن مقصوداً أن يتبصر له من يخصه الأمر لإهدار الأموال العامة، ولم يكن مقصوداً الزجّ به في قضية رشوة موظف الضرائب، الحقيقة عندما يفكر الرجال في إيذاء

المرأة عليهم أن يدركوا أنَّ المرأة قطة، إنّما عند الإهانة هي نمرٌ متوحشٌ.

عند تلك النظرة الأخيرة، بعد زيارته في الحبس، لم تقل شيئاً، حين قال لها: وقد شعرت أنّني الظالم يا راوية.

نظرت راوية نظرة مطولة، حتى رحلت في حرية تبارك ضميرها، الذي من الآن إلى نهاية الطريق، لم ينم هادئاً، أو يستيقظ إلّا على الخوف والرعب، من هول عقاب القدر.

****

" ندى"

وقف المحقق يخامره الظن، من النظرة الأولى يتمعن الجثة المسجاة على الأرض، حتى قال وهو يفرك ذقنه: بدت وكأنّها جناية.

قال الطبيب الشرعي وهو يتأمل الجثة: علينا أن نأخذ القرار بعد التشريح.

قال المحقق: ستتم كلّ الأمور قانونياً بالسطر، إنّما أحضر الشاهد الأول.

كان البواب يجلس القرفصاء وهو ينظر إلى أرجاء البيت المكون، من غرفة للنوم، وغرفة المكتب، وصالة الاستقبال، حتى اقتربَ منه الطبيب تحدث له مما أخرجه عن فكرته التي احتارت في هذه الميتة الغريبة قائلاً: عم عوضين... عم عوضين...اتبعني.

تنبه الرجل مفزوعاً من خلده وكفكف، دموعه المعلقة قائلاً: حاضر يا بيه.

دخل عم عوضين، وأشار له المحقق بالجلوس، حتى استقرَ

عم عوضين قرفصاء عند الجدار، حتى قال له وهو يشعل سيجارة، ملوحاً له نحو الكرسي: اجلس هنا.

جلس البواب يقلّب كفوفه وهو مسترسلٌ بالأفكار، حتى فاجأه المحقق: ماذا تعرف عن القتيلة؟!

ارتبكَ عم عوضين، وشعر بأنه سيشهد الحق، حتى قال في لجة: الحق، أنا لا أرى إلا سلوكها الحميد يا بيه.

قال المحقق: ألم ترَ برفقة الراحلة أياً من الرجال؟!

قال البواب: هي لنا آية: أستغفر الله العظيم يا بيه.

قال المحقق: عم عوضين ألم تلاحظ شيئاً مريباً؟!

قال عم عوضين: أبداً يا بيه.

....

أشار المحقق بتأففٍ معترضاً: بدا الجوّ غير مريح.

حتى تقربَّ الطبيب في خطوة قائلاً: الأمر يتطلب فنجان من القهوة.

قال المحقق وهو يبحث في إحدى أدراج المكتب للمجني عليها، أحضر الخادمة.

دخلت عزيزة وهي تتأخر خطوة، وتتقدم خطوة، حتى استقرت أمام المحقق قائلة: نعم يا بيه.

قال المحقق مبتسماً: عزيزة، هل تصنعين قدحين من القهوة؟!

قالت عزيزة: عيوني يا بيه.

ثم استوقفها قائلاً: عزيزة عيونك هذه لم تلاحظ شيئاً يخص الراحلة؟!

تذكرت عزيزة، ثم قالت: لا شيء يا بيه.

أصر المحقق: أصدقاء، صديقات، زمالة؟!

قالت عزيزة: لا غير الأستاذة سهام.

أبرز المحقق صورة وأشارَ للخادمة: هل هي تلك؟!

قالت: نعم هي يا بيه.

جلس مدحت وهو جار الراحلة، يبتسمُ وهو ينظر خلفه، قائلاً: ماذا هنالك، هل حدث شيء؟!

نظر له المحقق بشيء من الصرامة قائلاً: ماذا تعرف؟!

ثم أشار بغمزة من عينيه مستكملاً: عن جارتك ندى.

قال مدحت وهو يداري بسمة: إنّها مسالمة ورقيقة وجميلة.

قال الطبيب الشرعيّ: جميلة؟؟؟

كيف؟!

قال مدحت: ذات ليلة كنت أفتح شقتي، ورأيتها مرهقة.

قال المحقق: ألم ترَ معها أحد الأقارب؟!

قال مدحت: الحقيقة لا.

قال الطبيب الشرعي: ثم.

قال مدحت: أدخلتها شقتها، وجلستُ معها بعد أن تبينت أنّها مريضة القلب، بعد أن طلبت مني العقاقير.

قال المحقق: هل أعطيتها العقاقير؟

قال مدحت: نفدت العقاقير، فقررتُ أن أجاورها قليلاً للاطمئنان.

المحقق: ثم؟!

مدحت: هناك فرص لا تعوض.

....

جلست سهام متشحة بالسواد بعد أن مسحت دموعها الغزيرة، وهدأ نبضها الثائر الذي كان يكبلها نشيج أثار بوجهها مزيّداً الانتفاخ في الوجنتين.

حتى راوده المحقق بهذا السؤال: سهام، من وراء الجريمة؟!

سمعت سهام هذه الكلمة، مما أثارت مشاعرها قائلة في ذهول: مسكينة ندى كان كلّ الأخرين أعدائها.

انتبه لكلمات سهام، قائلاً بعصبية: من هم هؤلاء؟!

اذكريهم بالتفصيل.

سهام تؤكد وهي تتذكر هذا الحوار أبداً، وتلك الليلة؟
سهام: لست آخر الذين تركهم الحبيب.
ندى: الاتهام يا سهام هو الاتهام، أنا متهمة في حبي، قال لي أنّني صاحبة ماضٍ، والماضي لن يُمحى أبداً، لما كلّ الآخرين يكرهونني يا سهام؟!.
سهام: إنّها أوهام يا ندى، أوهام.
ندى: ما هذا ؟!
ألم أقل لا تتركوا النوافذ مفتوحة، ماذا تريدون؟!
تريدون الانتقام مني، أليس كذلك؟!
سهام: ندى نحن نحبك، ولا أعداء بحياتك أبداً.
ندى: كلّ العالم أعدائي، هل سمعتي هو يتحدث عني هذا البائع، إنني أفهم، أنا هي الطماطم المجنونة.
سهام: ندى إنّه مجرد بائع يبيع السلعة متجول.
ندى: أغلقي النافذة، لا ندري ماذا يأتي منها.
سهام تؤكد: ندى لن يأتي شيء من النافذة.
ندى ترتجف: بل سيأتي اسماعيل.
سهام: حبيبك القديم؟!
ندى: نعم قال لي أنّه سينتقم.
هو يريد أن يقتلني، تهمس ندى: يحقق في حد الله.

سهام: إنّها أوهام يا ندى، أوهام، فقد مات اسماعيل.

ندى وكأنّها لم تسمع: ماذا حدث؟!

ألم أقل لا أحبُّ الحر، لا أحبُّ الزحمة، من يصعد السلم؟!

سهام: ندى نحن نسكن بعقار فيه جيرة.

ندى: لا... لا، إنّهم يتلصصون يودون الانتقام.

سهام: من هم يا ندى؟!

ندى: إنَّهم الماضي، كلّهم منتقمون، كلّهم يكرهون ندى.

سهام: ندى... ندى، كل الماضي انتهى يا ندى، حقاً انتهى.

تهمس ندى: أبداً، لقد رأيت أحدهم يود قتلي.

سهام: أعلم عن ماذا تتحدثين، إنّه مجرد تشابه.

ندى وهي تتلاحق الأنفاس في هلع: واسماعيل؟! مجرد تشابه، اسماعيل... اسماعيل، لماذا؟! يا سماعيل لماذا؟! كم أحببتك.

سهام: اسمعي يا ندى، كلّ هذه الأفكار أوهام، اسماعيل لن يستطيع قتلك لأنه مات، والماضي انتهى.

ندى: لا... لا لم ينتهِ.

واسترقت ندى السمع عن انفجار يدوي، حتى قالت مذعورة: ها هو الانتقام بدأ، لقد أتى اسماعيل، حقاً لقد أتى.

سهام: ندى اسمعي علينا أن نرحل من هنا، ونبتعد عن اسماعيل والماضي كله، علينا بالرحيل يا ندى، لا غير الرحيل.

ندى تسلم: نعم هو الرحيل، أحضري أغراضكِ وهيّا بنا.

سهام: ندى لن أستطيع أن أتركك في هذه الحالة.

ندى: بل أسرعي، أشعر بالخوف، بل أشعر بالقضاء والقدر، ما زلت أنتظرُ اسماعيل.

سهام: حسناً سأذهب.

....

نظر المحقق ملياً نحو سهام يسلط الصمت لعيونها قائلاً: وعند العودة كانت لفظت أنفاسها.

أكدت سهام: ماتت ندى مسكينة يا صديقتي الحبيبة مسكينة.

....

تنهد المحقق وأخرج زفرة، لو استطاعت لحرقت الأكوان، قائلاً للطبيب الشرعيّ: مأساة ونتيجة مؤثرة.

قال الطبيب: مستبعد هذا عن العقل.

المحقق: باختصار هي صدمة، سبب رحيل اسماعيل، فقد ربطت ندى بموت اسماعيل حبيبها الوحيد عودة وحوش

الماضي من جديد وظلت ترى الماضي في أشباه أحدهم، وبالطبع قبل موت إسماعيل حدثت المشكلة التي أثار فيها إسماعيل مخاوف ندى وهو كان يقصد الدعابة بالطبع، حين قال لها: سأقيم عليك الحد إن عدت للماضي فضلاً عن مدحت، هذا الكائن الذي تجرد من الإنسانية.

الطبيب: إذاً هي ترسبات نفسية؟ وحب حقيقي تركها للأوهام وفريسة سهلة لأشباح الماضي؟!

المحقق: الخوف من المجهول، ومن إسماعيل الذي لم تؤمن ندى أبداً أنه قد رحل.

قال الطبيب: كانت ندى قبل الدقائق القليلة من الوفاة تنتظر إسماعيل للثأر منها.

المحقق: قلبها المريض لم يتحمل كل هذا الرعب والفزع والضغط.

الطبيب: ماتت من الرعب والخوف؟

المحقق: ماتت ضحية أشباح المجتمع منزوع الرحمة، ماتت ندى.

****

"نعم أسمعك "

أذاب الجليد مآقي العيون، حين سقطت سحائب الغيمة وتناثرت الآهات، شعور يفني أمامه الثقة، الفراق... الفراق... الفراق.

تناثرت الدموع في لحظة جاثمة، تخلع القلب من مستوطنه، حين نظرت واستمعت للغوّ من داء العتاب، ماتت... حقاً ماتت، كانت هنا بالأمس.

هذا ما تحدثت به نفسها أمام نفسها... قائلة بإكليل من السواد والجفاء: حقاً لا أرى الوجود أمامي قطعاً أنا أحلم، كانت تعانقني وتنبح، استقري، استقري، مطيعة كعادتكِ، جسدك الدافئ يضع الحد بين مشاعر الوفاء والاحساس، توقفي... توقفي... هل هذا حلم؟

كانت تضع الحد على عبوس الظن حازمة: كنت أتذكر يا كوكي وأنتِ القريبة مني هنا... هنا... تعالي أيتها الشقية... ها أمسكتك... هل تشعرين بي؟! هل بكيتِ من أجلي؟! حتى استفاقت على مواجهة الحقيقة الصارمة:

آه من الزمن عندما يذهب الأوفياء، رفيق يحب صديقه من أجل الوفاء، الرحيل...الرحيل... إلى متى الرحيل... الثقة العمياء والاحتياج والتعود... رحلت؟!... هل حقاً رحلت؟ وتعاتبت باللحظات تشجوا بالطريق: عيناكِ والخوف في عيناكِ...الحذر واللهفة...المكان الدفء والحماية .... توقفي... توقفي كوكي... أبتسمُ عندما أداعبك... كنت أبتسمُ... وذهبت البسمة...وجاء الحزن.... أفتقدك... أفتقدك.... عنك يقولون.... وأنا أتذكر وأفتقدك.

أشار الجد بلا عذوبة النسيان، رثاء وانكسار: هناك في هذا البيت، كنت جزءً منه نعم... يا كوكي جزءٌ لا يتجزأ، قلبي يشعر بالأسى، وأنا أشعر برياح الفِراق.

لا تخافي أنا بخير، الآن أنا أفضل، لا تقلقي، كنت أطمئنك وأنا التي كانت تودُ أن تطمئن بكِ.

إنّما مازالت تتذكر: الفراق...الفراق...ذهبتِ...وقد ذهب غيرك الكثير.... ذهبتْ السلحفاة .... ذهبت... لا أعرف كيف ذهبت... لكني أتألم... ما زلت أتألم، والآخرين لا يعرفون معنى الرحمة، الرحمة، الرحمة، يامن لا تعرفون الرحمة.

****

قصة الجريمة "**اشتباه** "

جسورٌ تخطت البكاء من مفارقة اللحظة، ماضٍ تخطى الظلم حدوده، ولم تكن نهاية الطريق إشادة وإشهاراً بفضلك أيّتها المرأة، عند نهاية الطريق، جزاءً لأفعالك.
لم يتبين من كلّ الأمور، غير مجرىً طبيعي مكافأة لخدمة، كأسرى الحرب بإحدى السجون، ولم نتبين خلاف الأمر، هذا ما أكد عليه المحقق بكلّ رضاً وطمأنينة، حين أعلن ما تنصه الأحداث بالترتيب الذي لا يستقدم ظله الجسد.
بينما قال الطبيب الشرعي متفكراً: ليس من الغريب طيلة خمسة وعشرون عاماً من العذاب والضنى، من ثم تكون هذه النهاية الطيبة، قطعاً أنا أشك.
المحقق بثقةٍ وتأكيدٍ وهو لا يبالي بالأمر: كلّ الحقائق والأدلة تبين سلامة الدوافع التي تتنبأ بلا ريب.
الطبيب الشرعي يتعجب: من الغريب أنّ الراحل مات ميتةً طبيعيةً وفي هدوء، كأنه يرضى كلّ الرضا عما أعطاه لزوجته التي تحملت قسوة وأيام الضنى.

المحقق كأنّه استدعى ذاكرته شيءٌ من الانتباه: لكن، ما الدافع وراء الشكاوى التي تمت في حق الزوجة، من أجل امتلاكها ثروة الزوج قبل الرحيل؟!.

المحقق: هل تعتقد أن هناك شيء خلف الرضا هذا قبل الرحيل؟!.

الطبيب: ربما من الأمر ظناً، به بته.

الطبيب الشرعي: الحقيقة عندما قال أحدٌ الراحل: عندما واجهنا الزوج بهذا، لم يلوح أو يعترض، بل كان متوافق وراضٍ.

المحقق يؤكد: فضلاً عن أحدهم الذي أكد، أنّ هنالك ظروف اضطرت الراحل على مجاراة الزوجة وقبول التنازل لها عن الأملاك.

الطبيب الشرعي: ظروف وتوقعات لا تؤيد الاطمئنان.

المحقق: من جديد ستفتح القضية.

الطبيب الشرعي: هناك ما يستدعي ذلك بالطبع.

المحقق: التنقيب والمتابعة، يلازم لهم التحري.

جلست زوجة الراحل في استكانة، وهي تمارس طقوس العزاء في نفسها، غير مدركة بماذا تواسي نفسها الرضا أم

التنكر لهذا الرحيل، خاصة بعدما جلب الفراق، بما لا تساوره الروح بالهنا.

حتى جهر المحقق فجأة: نشاطركم الأحزان.

انتبهت زينات في حالة من التيقظ والانتظار، حتى استقرت من السمع الذي بات يتريث لبضع كلمات، أضافها المحقق، كالسيف الذي سبق العزل، قائلاً باستجداء: كم أضاف لنا الود لو نستعلم منك عن هذه الأشياء؟!

حتى نثر بعض الأدلة أمامها، بعدما عثر عليها في أماكن تخصها بحذر.

حينها، بهتت زينات حتى نظرت بجمود، حتى حوّط المحقق صدمتها بالغرابة، قائلاً بسخرية: أشياء شديدة الغموض.

ارتبكت زينات، وهي تتساءل بين نفسها: بت أشكك يا شوكت من رحيلك أنه نقمة.

أعلن المحقق عن صوت يخرجها عن صمتها، حتى قالت في خجل ومواجهة حارة، تبوء عن وجها مجمهرة بحمرة: أنها بعض الأشياء.

انطلق المحقق في لحظةٍ خاطفةٍ، وهو يدق المكتب بقبضته: وهذا مربط الفرس.

زينات تؤكد في انهيار بعدما رأت أنّه لا أمر: لا تفيد الأدلة خاصة أنّ الميتة طبيعية.

المحقق يكشر عن أنيابه هامساً بكيدٍ: ألم تعلمي أن القضية فتحت من جديد؟!

زينات تدافع عن نفسها، إنّما بدا الأمر في صورة اعتراف: تلك الأشياء لأمورٍ طبيعية، زجاجة دواء مخدرة، وكأس خاص للراحل، وبطاقته الشخصية.

المحقق يذكّر زينات قائلاً: هل تناسيتِ رقم الهاتف لهذا الطبيب.

زينات تكابر: طبيب العائلة.

المحقق: بل الطبيب المتآمر.

زينات تتنكر: لا أدري عن ماذا تتحدث؟

المحقق: إنّك مدانة بأخذ ميراث ليس من حقك، والأدلة والشهود تقول!

يجلس الطبيب الشرعي يزيده العجب: بغير الشكوى تلك، ما كنا نتبين الأدلة المتبينة لذلك.

المحقق: زجاجة مخدر، كانت تسلب بها المتهمة قوة الزوج بالتواطؤ مع الطبيب لتخور قواه وتجعله يبصم لها ويتنازل عن ممتلكاته وهو غير مدرك.

الطبيب يستكمل: البصمات التي كانت على الكأس هي تلك الألعوبة التي كانت تستخدمها، لتراوغ بها الراحل إذ اعترض، التهمة له الزج بأغراضه في جناية سابقة مؤهلة للفتح من جديد، بل الاعتراف مدون بأقوال الطبيب المدان.

الطبيب: أدلة قوية في مسرح الجريمة الخاص، الكأس ذات البصمات والبطاقة خاصته المفقودة.

المحقق: ألاعيب شيطانية، اقتنصت بها انتقاماً من الزوج الشرير، بعد أن انهال عليه المرض وصار مقعداً، حتى مات بطريقة شبه طبيعية لم يدركها الكثيرون.

الطبيب: بعدما شهد طبيب الراحل الخاص، عن دواعي تناول الراحل للمخدر للزوم الأمر.

المحقق: خطة محكمة، لا يحكمها إلا القادرون.

الطبيب: لن تخلوا أي جريمة من الأدلة.

المحقق: أو ثغرات تنسب للجرم.

" مذكرات فتاة "

كلما نظرت اجتاحني اللهوّ والفقدان، عند كوة الجدار الأمامي تتراقص الأضواء الحمراء، يصفعني الصقيع وأنا أتجمد، أنت الذي بداخل الدفء تلتمع سواعد قوية حين تتريض، وأنا أحرس ظلك بداخل العقل والروح، كم مرة كنت أرك بالشرفة، وأنا التي خلف أغلفة النوافذ، خلفها أتسلل، لأرى نور وجهك الريان، أنا، أنا فتاتك هل تراني؟ من أنت يا سيد الغموض؟! كم قالوا عنك بالجوار؟! عنيد ذو كبرياءٍ وصمود.

كم كنت لا أصدق، كم اقتنعت الآن أبداً، أبداً لن تعرفني، أبداً، أبداً لن تفهمني، وقد اعتصرني الألم وعند رؤياك على الوجيعة تتلوى الشموع، عيناك يا سيدي سهام تقتلع من لحمي عظامي، وأنت كل الكبرياء وأنا عزة النفس والعنود، لا تتذكر لهفتي على غيابك عني وتدفق الخيالات، لا ترهق ذاكرتك فحقاً أنا ظل النافذة الذي يتبعك في صمتٍ وسكات، هل تدرك أمراً، بكيت، بكيت يا سيدي في أحلك اللحظات.

أتتساءل ماذا قلت: قلت أحبك أيها الطيف، أناديك بغير كلمات، أخايلك بالعتاب وأنت لا تعلمني، روح وجسد، احتمالات، أنا هنا وأنت هناك، هل تعلم؟!

لا، لا أريدك أن تعلم، إنّما أود فقط أن تشعر بنبض قلبٍ أحب الروح التي بجسدك، حين يتجلى من النافذة أذوب ها هنا، لو وددت لكنت أسفل أقدامك ألثمُ اللحظات، رفيق قلبي همسات، لون عيناك يخامر الشجر، تتدلى الأغصان على شفاهٍ تقبّلُ الهوى، تئن بعمري تنهيداتٍ، تذهب وتترك جسدي رفاتاً... رفاتاً... رفاتاً.

****

" الراهب الفيلسوف "

هل كانت صدفة؟ عندما تم الأمر بهذه الطريقة، ليست طريقة واحدة بل عدة محاولات.

قال الأستاذ فوزي تلك الكلمة وهو يقرض أنامله مثل الطفل، عندما ذهب للمحقق يكشف له السر الذي لم يعرف عنه من القانطين بالعقار الكثير.

دُهِشَ المحققُ لما سمع من الأستاذ فوزي قائلاً بإصرار: املِ عليَّ ما سردته مرة أخرى.

قال الأستاذ فوزي مرتجفاً: يا سيدي إنّه ساحر...كاهن... أي شيء غير الراهب... هو المدبر لكلّ الجرائم التي حدثت باختفاء الفتيات من العقار.

المحقق ينظر للأستاذ فوزي صامتاً، حتى قال فوزي: نعم عند القبو ابحثوا سترون ما يعلن عن وضوح كلماتي

....

جلس الطبيب بعد البحث الجنائي يشهد: والله لم أرَ إلا خير الأماكن المقدسة والركيزة فوق الأشياء والعلم.

بدا المحقق في حنق واستئصال لكلّ الأحداث التي تمت من وقع المنطق الذي لن يتقبل إلا معقول في واقع مدان من الجميع، حتى كاد يحدث نفسه: كيف يكون لاختفاء فتيات العقار علاقة بهذا الراهب الفيلسوف؟؟ ثم عاد يجيب: لكن علينا أن نضع كلّ الاحتمالات، إنّما شهادة فوزي تؤكد اصطحاب الكاهن لهن بالقبو قبل الاختفاء.

....

خرج المحقق من ظنونه عندما اعتلت الأصوات بالخارج من بعض الأشخاص، يرددون: لا مزيد فقد مللنا.

المحقق مسرعاً يتساءل: ما الأمر؟!

بعد أن حدهم الضجيج.

قال أحد الجيران: والله أشهد بهلاكنا يا بيه.

المحقق بعنف: أيها الرجل اتضح الأمر.

قال رجلٌ آخر بصوتٍ لا يُسمع: العقار مسكون.

ضحك المحقق قائلاً بدعابةٍ: رائع، فتيات تختفي، والعقار مسكون، بعد الاستعلام، نظرَ المحققُ للطبيب الشرعيِّ قائلاً: هل يتوقف عندك العلم أمام الخوارق؟! ضحك الطبيب الشرعي قائلاً: ربما.

المحقق بتحدٍ: ضع كلّ الاحتمالات، نحن واقعيون نلمس الأرض ولا نلمس الهواء.

الطبيبُ الشرعيّ يصمت مطولاً ثم يقول وهو متردد: إعادة النظر لها فائدة.

....

تلاحقتْ طيورٌ من السكينة والاستقرار فوق عينيّ الراهب، عندما نظر من النافذة التي كانت أمامه، يتطلع بها في خشوعٍ، حتى أتى المحقق، ولم يسعه إلّا الانبهار لهذا الكيان المهوّل، متسائلاً بوقارٍ: أيّها الراهب، هل لي ببعض الأسئلة؟!

يجيبُ الراهبُ الفيلسوف: الأسئلة كثيرة، إنّما هل ستكون الإجابة مجزية؟!.

المحققُ يؤكد: بالطبع هذا ما سنعلمه منك، فأنتم لديكم بالطبع الحقيقة والعلم.

الراهب يلاحق المحقق: إذاً الإجابة عند العلم.

المحقق: والراهب ماذا يقول؟

الراهب يشير للسماء قائلاً: السماء تقول دائماً الحق.

المحقق وبدا عليه الحنق: أيّها الراهب علينا أن نتعاون.

الراهب: أنا لا أتعاون في أمور الدنيا، أنا أتعاون للبعد عن أمور الدنيا.

يتجردُ المحققُ من الصبر: ماذا كانت تفعل الفتيات، واحدة تلو الأخرى في القبو قبل الاختفاء؟!.

الراهبُ بوقارٍ: ما صلتك بالرب؟!

المحقق يصمت وكأنّه تذكرَ تقصيره، لكنَّه قاوم قائلاً: أرجوك علينا أن نتعاون.

الراهب: كانت الفتياتُ تصلي للرب.

المحققُ يشعرُ بالحيرةِ والكثير من الإحراج: أيّها الراهب، ما قصة الأرواح؟!

الراهبُ يشيرُ للسماء في وقارٍ متمتماً: هناك توجد في الأعلى.

المحقق ينظر للسماء ملياً ثم يقول: البعض يتهمك باختفاء الفتيات وحبسهن في القبو.

الراهب قائلاً: العلم يقول.

المحقق يشعر بالخجل قائلاً: والعلم يعتذر للدين.

....

جلس الطبيب الشرعيّ صامتاً مذهولاً، حين قال:
الخوارق ... الخوارق... هل سمعت عن هذه الكلمة من قبل؟!
قال المحقق بانفعالٍ: حقاً الأمر لا يستحضر أيّ دعابة، املِ عليَّ تقريرك.
الطبيب الشرعيّ: شاهد عيان فقط، وكلّ من الفتيات كانت وحدهن بمسكنها، والمفاجأة أنهن كُنَّ تحت وصايا الراهب.
المحقق: الأب الروحي.
الطبيب الشرعيّ: هو كذلك، ويستكمل: والوحيد في العقار هو الأستاذ فوزي.
أجاب المحقق: رجلٌ غريب الأطوار.
الطبيب الشرعيّ مستكملاً: أصوات الأشباح التي صدرت.
اقشعرَّ بدنُ المحقق، قائلاً بتماسكٍ: كيف بدا لك الأمر؟!
الطبيب الشرعيّ: تم بناء من الجدار لغرفةٍ معزولةٍ، وحبست فيها الفتيات للنيل من الراهب.
المحقق يشعر بالنصر: صدق الراهب الفيلسوف، العلم ينتصر.
الطبيب لا يفهم إنّما يقول: دائماً ينتصر.

المحقق يجزُّ بأنيابه: من وراء الأمر؟
الطبيب يلوّحُ بحركةٍ من يديه: غريبُ الأطوار.

....

جلس الأستاذُ فوزي صامتاً، حين سأله المحقق، بأصابع الاتهام: فوزي أنتَ متهمٌ بعدةِ جرائم.
فوزي ينظرُ صامتاً، ثم يستكمل المحقق: الخطفُ، واتهام الراهب، وتضليل العدالة.
يستمرُ فوزي في حالة من الصمت، حتى يقول المحقق بحدة ساخراً: فوزي ماذا تعرف عن الخوارق؟!
فوزي يقول منكسراً: عليك أن تسأل عن العلم والدين.
صمت المحقق ناظراً إلى النافذة التي أطل عليها بنظرةٍ، يلامس بعيونه المارة ويسمع الأصوات بواقع لا يعرف عن الخوارق شيئاً.

****

" هي وسميرة "

لا تنظر إلى السماء كثيراً، حتى لا تخجل منك النجوم، أنت بهذه الرجولة تأسرني، طالما أزعنت ذلك يا سمير، ألم أقل من قبل أنني أحبك، لا أدرك لماذا تعترض؟!

قالت سميرة هذه الكلمات القلائل، حتى شعر سمير الذي كان يقف عند النافذة، بإحساسٍ يوازي أخوه، حتى التفت نحو سميرة بليونةٍ، فجسده الفحل لم يمنعه من الإحساس بالليونة، جلس في رشاقة، ومن ثم عانق الساق بالأخرى، قائلاً في حيرة: سميرة، عليك أن تتحرري من هذا الإحساس، أنت مثل أختي.

سميرة تشهق: أختك... ماذا تعني؟!

ألم نكن متحابين يا سمير؟!

سمير نحن جيران، واكتشفت مدى الأخوة التي طرأت بيننا.

رأس سميرة يدور قائلاً: ما التغير الذي هل بحبنا؟!

سمير ينفعل وخصلة ملساء من شعره تتطاير: قلت لكِ أنّني تغيرت، ملامحي شعوري، إحساسي رغباتي، حتى نظرتي لكِ تغيرت، سميرة تجن: ما الدافع؟!

ما السبب وراء ذلك؟!

سمير يخطو في رشاقة، وهو ينظر لجسده اللين قائلاً: تقول نفسي، أنا لست أنا، سمير لابد أن يكون سميرة، بل من الأفضل أن أكون سميرة، سميرة مثلك تماماً.

سميرة تفرغ فاهها وتصرخ من هول الكلمات: ماذا...أنتَ قائل؟! سمير يجلس برشاقة ويضع رجلاً فوق الأخرى قائلاً: لا يصح إلا الصحيح.

....

شدة الصدمة لم تمر مرور الكرام، بل غلب الظنُّ بسميرة، أنَّ الحبيب قد جُنَّ، ما عساه يكون خلاف ذلك الجنون، كيف يكون التقمص بالأنوثة والتجرد حقاً من الذكورة، لم تصدق يوماً ما سمعت أذنيها أو ما رأت عينيها.

....

هل أدركت قبل الآن أنني مثلك، برح هذا الصوت الرخيم من جسد يتفجر بكلِّ الأنوثة، حين نظرت سميرة، لتلك المرأة الرقيقة، رشيقة القوام، حتى قالت لها: معذرةً، هل قبل ذلك كان بيننا التعارف؟!

ضحكت المرأة بدلال ورشاقة قائلة: كنت أقول، أنّني الآن حرة مثلك، نحن حقاً أختان رمزٌ للحُبِّ والوفاءِ يا سميرة.

لم تستوعب الأمر سميرة إنما قالت في حدة، وهي ترحل: كيف فعلت ذلك بنفسك؟!

تستوقفها المرأة بيديها القوية، فالجسد رغم التحويل إلا أنّه لم يتناسَ بعض مفرداته، قائلة: أنا أحبك، لكن الطبيعة فرضت ذلك، أن يتحول سمير إلى سميرة، أنا مثلك، من زمن مضى وأنا أقول لك سميرة: أنا مثلك، إنما حقاً أحبك، هل تقبلين يا سميرة، صديقتك وأختك الجديدة سميرة، أن تكون رفيقتك.

صمتت سميرة قائلة: هل تعنين أن سميرة ترافق سميرة.

أشار الرجل المتحول: هكذا بالطبع.

قالت سميرة لرفيقتها الجديدة: هل تعلمين؟!

أن الحب الحقيقي لن يفنَ، بل يستمر بكل صورة.

الرجل المتحول: كان يكفي من البدء أن أقول أحبك، وتعانق الحبيبان.

****

"نبيلة "

ترنَّحَ القيظُ في لقاء الهواء وصرخَتْ نبيلة وهي تتشبثُ بيدِ محمد، حتى انبثقت دمعةٌ تفردتْ بموقعها في حين بدا الرجل يعترض الرحيل، حتى تجمهرت شفتاه واستنطق وجهه بعدم التصديق، حين تسأل بلهفة ورعب:

نبيلة ليه يا نبيلة، ليه يا حبيبتي، دانتِ حبيبتي، حبيبتي يا نبيلة.

ارتعشت نبيلة وجسدها يترنح بالهواء وكادت تسقط، تهمس ببوحٍ مكظومٍ: خلاص يا محمد، أنا هامشي، عشان بحبك، اسمعْ دق قلبي، شوف رعشة كفوفي، وصوتي المكتوم بيقول بحبك، أنا بحبك، نبيلة بتحبك... بتحبك يا محمد، بحبك.

محمد يتمسك بأنامل نبيلة التي كادت تسقط من الدور السادس وهو يثور بلهفة: نبيلة لا يا نبيلة لا... لا، أوعي تمشي وتسيبي حبيبك محمد.

نبيلة تحاول أن تقنع محمد: لازم تعيش يا محمد، لازم تحب من تاني، نبيلة صفحة قديمة ها تروح.

محمد يعترض: لا... لا أبداً متقوليش كده، أنا حبيبك وأنت حبيبتي، أنت أمي وحبيبتي وأختي، بحبك يا نبيلة بحبك.

....

جلست نبيلة بعدما قام الأخرين بإسنادها على أريكة مناسبة.

حتى اقتربَ منها أحد الأحفاد، متسائلاً: تاتا، ما معنى الوفاء والذكرى؟!

قالت الجدة: الوفاء يا ابني في انتظاري هذا، حتى أرافق حبيب القلب وألاقيه.

فرح الطفل قائلاً: جدو، إذاً ستتقابلان هناك في الفردوس.

تنهدت الجدة قائلة: أعلم أنّه ينتظرني، وأنا من الآن أستعد.

ابتسمت نبيلة بسخرية، على زمن تعدى بمراحله، حصد من خلفه الأنجال والأحفاد.

حتى قالت: أشتم رائحة محمد.

****

"سلامة"

استباحتْ أمُّ سلامة قطوفاً من العمرِ غضونَ، حتى قالت وهي ترثي حالها من الحدثِ المهوّل، والفعل المستنكر لها، الذي باتَ ابنها سلامة، يفكرُ في ذات الأمر بجديةٍ، حتى لم ترَ إلا يديها ملوحةً بعنفٍ وصدمةٍ مهوّلةٍ:

سلامة...سلامة...تذكر أمكَ يا سلامة، تذكر أمكَ يا بني.

....

وثبَ ما بين الأجفان عن قهر الزمن، الحد يلاقيه في محنة طارئة، حين تشدّقَ سلامة:

إنَّ الأزمة بدَتْ الحلقوم يا سادة، تمعضَ سلامة بتلك الكلمات يتنكرُ لها: دعيني وشأني.

....

حين اقتربتْ الأمُّ من هذا الضريح مكللةً بالدعاءِ والتمتمةِ والهمسِ، داعيةً، تحتضنُ بكفيّها وجهها: اللّٰهُمَّ ارحم موتانا، اللّٰهُمَّ آمين يا ربّ العالمين.

....

جهرَ صوتُ سلامة، صارخاً: المستقبل، المستقبل أيُّها الأقوام المستقبل.

بكتْ أمُّ سلامة بنواحٍ قائلةً: كيف هانتْ عليك أمك يا سلامة؟!

لا يرى سلامة غير المستقبل، متحفزاً: المستقبل المال الحرية، هل تعي الأمر؟!

بكتْ أم سلامة متأثرةً باللحظة، جاسرةً على الألم: بلادك الأولى يا بني.

سلامة ينفعلُ بكلِّ قوةٍ: لو كان بها معاونة، كنت ما تفكرت الهجرة.

تشعر أم سلامة بحزنٍ شديدٍ: هنا الله وهناك الله يا ولدي.

سلامة يضحك ثائراً: انتهتْ المحنة يا أمَّ سلامة انتهى الفقر، ذهبتْ الأيام المؤلمة وولتْ، بل القادم أفضل.

أم سلامة: لو لم أدركْ أنَّك بني، لقلتُ عنكم أصحاب الجحود.

سلامة يضحك بسخريةٍ: جحودٌ، جحودٌ، أمُّ سلامة الجحودُ في كلِّ مكان.

أمُّ سلامة تبتهلُ: القادمُ في يدِ الله يا بني.

سلامة يصرُّ: فليغير قومٌ بأنفسهم.

سلامة...سلامة...لا تذهب يا سلامة، أمك هنا بهذه الأرض يا ولدي، وطنكَ ووطن أجدادك.

سلامة يلوحُ للأمِّ قائلاً: تذكري الافتخارَ الذي سأعودُ يوماً به، تذكري سلامة يا أمّ سلامة.

....

مسحت أمُّ سلامة دمعةً قاسيةً بعد نشيجٍ دامَ ساعاتٍ، وهي تخاطبُ الضريحَ الذي أمامها في باستكانة: سلامة كيف حالك يا بني؟! الآن هل هدأتَ يا سلامة، كيف تتوجع بقلبي يا سلامة؟! لماذا يا حبيبي؟! لماذا؟! ليس لي في الدنيا غيرك، أنت حظي من هذه الدنيا يا سلامة، احفظه يا رب.

تتذكرُ أمُّ سلامة ذلك المشهد: ابنكِ رجلٌ يا أمّ سلامة وسيّد الرجال، أبداً لا تبكي.

أمُّ سلامة تطمئنه وتتملى من ضريحه: حاضر يا سلامة، حاضر يا ابني، ماذا إنْ كنتَ سمعتَ حديثي؟! لكنتَ بمكانٍ آخر.

استعدتْ أمُّ سلامة للرحيل، بعد أن سلّمتْ أمرها لله، حيث كانت تراودها الخيالات وهي تسمعُ صوتَ سلامة

يتردد في الفضاء مع السلامة يا أم سلامة مع السلامة ياما، (ابنك أدها يا أم سلامة أدها).
نظرتْ أمُّ سلامة خلفها نظرةً أخيرةً تخامرها الحسرة باكيةً، وتمصُّ شفتيها: يا عيني عليك يا ابني.

****

"راحتْ عليك يا رضا "

بئس الحال عندما مرتْ بريح خيالي صورةٌ مطبوعةٌ منها، هي؟! لا... ليست هي ؟!
رضا... رضا... يستمعُ رضا لهذا الخذلان، والهواجس تصفُ الكهولةَ ونقص القوة، اللتان باتتْ كلاً منهما، بقايا ذكرى لرجلٍ ضعيفٍ في كلِّ الأشياء، هل تستطيع يا رضا ؟!
لا تسخر مني أيّها الزمن، بدتْ لي الحياة والحُبّ.
ما زلتَ تتذكر يا رضا؟!
أيُّها الوسواس، ما زلتُ أحُبُّ.
رضا...رضا...ألا زلتَ ترى بعينِ العشمِ يا رضا؟!
كانت مثل الفراشات تحلّق، فوقَ قلبي وعقلي، وكنتُ ألثمُ الثغرَ المعتقِ بالنبيذ، فكم أحببتُها.
ولّتْ الأيامُ يا رضا، انظرْ لذاتِ نفسكَ.

.....

في هذا المستشفى ربما القدرُ حانَ لنا تحقيق المصير.
أيّتها الممرضة، ماذا عنها تلك الطبيبة؟!
الممرضة تنظر قائلةً: حاج رضا... تقصد مس سهير؟!

نعم... نعم، ما شاء الله شديدة البنيان، لا يزال الشباب ينبض.

....

رضا...رضا...لا تخاطرْ بنفسكَ يا رضا.

....

هتفتْ الذكرى بوميضٍ مستريحٍ تخطتْ خمسون عاماً عودة للخلف: ماذا تقول عيناكِ؟!

تقولُ: أحبُ رضا...أحبُ رضا.

وأنا أُحُبّكِ يا سهير.

....

رضا...رضا...ذكرى راحلة يا رضا.

....

أيتها الممرضة: هل لي أن أحدثها؟!

مس سهير؟!

نعم... هي يا بنيتي.

يتفاجأ الحاج رضا: مساء الخير يا حاج رضا.

مس سهير.

نعم هي يا حاج رضا؟!

حاج رضا: طالما كان بيننا حاجز العمر.

أعطاكم الله العافية، وكيف حالك الآن؟!

ألا تتذكرينني؟!

نعم...

يتلهف رضا: صحيح، من أكون؟!

أنت الحاج رضا، الرجلُ المباركُ، لا نطلب إلا دعواتك يا حاج رضا.

....

رضا...رضا...ألا زلتَ تتذكرُ يا رضا.

راحت عليك يا رضا.

راحت عليك يا رضا.

****

" مضيافٌ في عمقِ العشم "

تلفّحَ مضيافُ في عمقِ العشم مرة، حتى تيقظ وهو يعي، إلى ما في النفس تواريه، قال لهذا الصديق: إلى أيّ طريقٍ تأخذكَ المسيرة يا عبد الله؟ إلى أيّ مدى خذلوك الناكرين؟! هذا ما رتله مضياف له حين بدت بعض السلوك ينهرها الآخرين في ظل أفعاله، هذا الـــــ "عبد الله"، حتى تمادى مضياف وهو بغير متمادٍ، ملوحاً نحو البراح قائلاً متصلباً بالذات: هنالك دوماً نقطة بداية منها، عندما نقترب نتبين أنّها النهاية. ألم ترَ أن الهالك؟!... من كان يشتد به العناد لجلبة الحق، يا ابن الرشد والكمال، لطالما تحدَّثَ عنكَ الجميع، طالما استنطق الصبر منك عزة أديم بالضي خليلهم.

لم يسمع عبد الله، حتى قال: ويحك مضياف وأنا عبد الله، وهل يتنكر باتصافي المخلصين، إنَّني قائدٌ في فضِّ النزاع بين النفسِ والجسد، بل أملك فاهَ حكيمٍ لن يستطيع المرء هجرانه.

انطلقَ ما يلاقيه مضياف من أعذار، درة الكلم للخلاص جدار: يا عبد الله، الكمال لغير الله لا يكون، إنّما نيفٌ من الأزمان

يتحدثون عن العظة والرحمة والحق والثقة، وأنا الآن بهذا الأمر من باب القرب لها أحقق، هل أراك بغير رضا؟!

عندما ترى المضياف صديق باع يناصركَ بالعودة والزهد عن أديم غير متضح.

مضياف يا صديقي، لك الله يا أخي، لو بقينا زاهدين، العصور والأجيال فينا تساهم في الاختلاف والتصورات التي إليها نحن بلا الحق مشتتون.

بك الرصينة والخلد بالحق إلى يوم الدين.

وقد علمنا مضياف منكم، ومن قبل الأصل والصدق دوماً إلينا يخلفه التوجيه والحسبان، طالما دفعكَ الإخلاص منا يا أخي.

أنا الذي حسبت عبد الله أخي من البدء، كيف لي عند رؤية مالا معنى عنه، لا أراوده عنه بالرحيل.

طالما تساءلت مضياف عن خلاف الحق، ترى ماذا عنه الكثير قال؟!

قالوا: الإنسان غير موصوم.

إنّما أراك يا عبد الله موصوم، خذ بيدك الإرادة وأعلم ما وراء الحكمة إشارة للمتقين.

هل أنازلكَ مضياف، أم أرحب يا صديقي.

بل كن حنيفاً في فعلٍ تصدق به عن الوزر أفضل، جعلك الله من المخلصين، التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

علامة من الله، أم الأقدار تراها تهيئ مذلة.

ربما الغيب يراك رجل الإحسان.

بيان سأطلقه في أمر نفسي وأراني في حال الطريق لأكون على منوال.

هناك فلتبدأ وكن يا أخي على صفح رسول ترى الكبائر صغائر الأفعال.

وديع يستكمل أديم خياله الحق استبرق تجلى، مضياف قراءة علامات بوجه عبد الله ابتهال.

أنوار أخي رضوان، نكران مذلة لبني عدنان.

****

"امرأة ترث القانون "

ليلة هي مسيرة الليالي تسير في نهج الوقت المضطرم من ولج لحظ كان يتراقص على لوعة الشيطان وتبادل المسرات والفائدة، إنّما كان خلف النفوس غاية منها جاء وزن القضية على محمل سقوط النفس.

إذاً، يا أنتِ اعلمي أنّ البكاء لن يفيد، قالت مروة لصديقتها المقربة، عندما قامت بزيارتها بعد احتجازها في القسم على ذمة التحقيق، ندت من فاه مروة زفرة قاسية في كلمة حادة: الغدر... الغدر، لعنة الله على هذا الحُبّ.

تعترضُ حكيمة على مقولة صديقتها في صورة مؤثرة من التعبير بوجهٍ من التساؤل: إلى أي مدى كان الوفاء في قلبي؟!

مروة تتعجب: إنّما ما سبب تواجدك في هذا العقار؟!

قالت حكيمة وهذا كان اسمها: لا أدري، بل كنت أسير في شوارع القاهرة، حين استيقظت رأيت الخفر والمحقق وناس لا أعرفهم وأجساد عارية، وبعد الإفاقة، قال لي

المحقق: إنّني من المشتبهين، وشهد رجال ونساء من أصحاب الواقعة، أنّني كنت أتردد على هذا العقار.
مروة تشهق بنيران مضطرمة: يا ويلي إذا الجريمة ملفقة.
حكيمة: نعم أدركت للتوّ.
اقتربت مروة وهي تهمس في أذن الصديقة الموصومة: من السبب صديقتي؟!
قالت حكيمة: هذه نتيجة الحُبّ عندما ينتهي من تحولاته.
مروة تبكي: حقاً لا أصدق أنّكِ هنا بسبب الحُبّ.
حكيمة: طالما خرجت من جعبة الحُبّ، شياطين وأشباح هائلة.

....

جلس رابح يفرك أصابعه من التعجب وهو ينتظر صديقه الضليع في أروقة المحاكم، وانفلق الظن منه، مثلما تنبثق نواة الثمار من جلدتها، قائلاً: ما أخطر الثقة التي تقترب إلى الغرور، كيف أخذتني الحكمة وأنا ابن رغبة، أغرق في شق سروالي.
ابتسم صديقه ضليع أروقة المحاكم متفوهاً: أكثر الذين نهايتهم القضبان أصحاب شهوة.

خرج رابح عن شعوره: بالله عليك أنا رجلٌ حرٌّ، لا أُحبُّ القيود.

قال الصديق بتريثٍ: أنصحكَ في المرة المقبلة عند الهجر، ألّا يكون الغدر، النساء ذات الخبرة تتفهم.

رابح في انكسار: كيف هي بالخارج وأنا بالحبس؟!

الصديق الضليع: محاربة الأعداء بالداء.

رابح: أتقصد أنّها هي.

الصديق: لا غيرها أبداً.

رابح: آه خدعني الظنُّ حين التحفتُ الكبرياء، واستهانت نفسي بهن.

....

جلست حكيمة على بساطٍ أخضر مريح وباتت تبرح بأثرها زفرة بدت عن ارتياح ألا وهي تضحك بلمحة من عينيها الفرح والانتصار، حين سألتها مروة بلغةٍ ساخرة: كيف أودعته بدلاً منكِ بهذه الأصفاد؟!

حكيمة توضح بثقة ما تم فعله: الداء، إنّه الداء.

مروة: الداء، كلمة غامضة.

حكيمة تسير وهي تنظر لقوامها بإعجابٍ:

أنصحك عزيزتي إن قررتِ أن تحبي، ابدئي بالبحث داخل خبايا جيوب الماضي لهذا الحبيب، ربما يوماً تحتاجين لرفاق الذكرى في حل أمورك.

مروة بتمعنٍ: تقصدين الماضي الأسود.

حكيمة: أسود أو أبيض، المهم النتيجة.

مروة: أنا لا أفهم.

حكيمة تتذكر بوميض من عينيها: الزوجة المهجورة، وبعض الأعداء خير كفاية لهذا الأمر.

مروة بإعجاب: لقد قمتِ بضربتكِ البكر، التلفيق بتهمة.

حكيمة: ألم أقلْ لكِ إنّه الداء، زوجة حقودة تريد الثأر، وأصدقاء قدامى يريدون الانتقام.

مروة تأخذها الغرابة: لكن كيف استطعتِ أن تثبتي البراءة لكِ.

حكيمة: تغيير الأدلة وتغيير الشهادة، القانون قانون يا عزيزتي.

مروة: حقاً من قال القانون مرآة المجتمع.

حكيمة: والقانون لا يحمي المغفلين.

مروة: صدق من قال احترس من الأنثى.

" حسان "

ليست المرة الأولى ولن تكون الأخيرة يا حسان... لن أنسى أنّك قرة عيني... وهل يعقل؟!
أن يلم شتات أعمارنا من أديم الذكرى برعونة الطفولة إلى حنين اللحظة ونحن الآن أغراب... والله ما أحببت إلا غيرك.
لن تكون هذه الليلة المسائية، وهذا التوقيت في شقتي تلك، حين قالت الأمهات: حسان لصابرة، وصابرة لحسان. هل أدركت الأحلام التي شيدت في عشنا؟!
طالما تحدثت أمي معي عني وعنك، كانت تقول لي: أنّكَ فرصة من السماء.
حسان... حسان... هل تعرف معنى الحُبّ يا حسان؟!
كنت ألتمسُ فيك الرغبة والحُبّ والسكينة والكمال، كلما نظرت بعينيك، أرى بصفحة وجهك الهادئة بحراً صافياً، تخلى عن هواجسه، يستقر قلبي الآمن على شاطئك الأمان.
حسان...حسان... هل تعرف معنى الحُبّ يا حسان؟!
لم يكن للمشكلة يوماً لها من رياح، كنت أتغاضى لأنّني

أحُبُّ وأغفر... وأنت أيضاً تتسامح، كنا نعشق من أجلِ الحُبِّ والتسامح من أجل الحُبّ فقط.

رحلت والدتك، كنت أدركُ أن من الأمر صعوبة، إنّما أبداً لم أفارق، لم أعاتب على الإهمال يا حسان، هل تعرف أنّ الحُبَّ اهتمامٌ، وأنت الذي أهملت صابرة، كأنّ الحبّ مات مع رحيل والدتك، كلّ الوعود ماتت، ولم تبقَ من الذكرى في عين أمي، إلّا هذه الدمعة المعلقة الحزينة على أجفانها، يصعب عليها أن تقول: فاتك حسان.

حقاً وأتساءل بعد أن رحلت أمي بحزنها آخذة معها الأمل الذي مات برحيلها، وأنت الآن تصعد السلم أمامي مع عروسك الجديدة، وأرى البسمة والسعادة في عينيك والوعود التي بيننا تتكسر وتتلاشى، أتساءل: كيف ستتذوق معنى الراحة، وبجانبك قلبٌ يتأسى وينبض، حقاً هل أحببت مرة أخرى؟!

وسأكون أنا لك ذكرى.

ربما استوقفك يوماً أو تتذكر عينيّ، حينما أسألك بلهفة وأنا في كفن ميت: حسان... حسان... هل عرفت معنى الحُبّ يا حسان؟!.

****

قصة الرعب " **عبد المعين**"

انطلق الرجل بحالة من التكذيب، تسكن اللا وعي، حتى شد على يد الرجل المقابل، حارس المشرحة، يقول له مجاهداً: حفظك الله يا عبد المعين، فلتحفظ أخي.

صمت عبد المعين برهة، ثم قال وهو يشير إلى السماء: هو وحده الحافظ يا بيه؟

قال سعيد متأثراً: كان أخي الوحيد، أخي الطيب، خطف كالزهرة.

نظر عبد المعين قائلاً: الأمر بيد الله يا بيه.

قال سعيد، وهو يخطو خطوة إلى الأمام وخطوة إلى خلف: إذاً سأتركه في رعاية الله ورعايتك، الأمر بيد الله يا عبد المعين.

قال عبد المعين: عليك المبيت إذا زادك القلق.

قرر سعيد أن يؤنس أخيه المتوفى بجانب ثلاجة الموتى، في اللحظات القلائل الآتية.

....

عبد المعين، كيف تغفو عيناك بجانب الموتى؟!

تعودت ذلك يا بيه، نعم، لكني سأستيقظ.

لم يمر قليلاً من الوقت، ذهب عبد المعين في عالم الأحلام، إلا من سعيد الذي لم يكذب أذنيه، هناك بالفعل صوت، إنّما كيف ذلك؟! إنّهم جثث لا حول لهم ولا قوة، من الغريب أن هذا الصوت بالتحديد هو يعرفه.

إنّما مهلاً، عبد المعين، عبد المعين، استيقظ، هناك أصوات، أصوات إزلاق وصراخ ونجدة، بدا الباب وكأنّه ينفتح.

عبد المعين، عبد المعين، لا غير الهرب، الشارع خالي، هناك عربة تمر، هل تأخذني معك في الطريق؟!

وقف الرجل صامتاً، وأشار لسعيد بالصعود.

صعد سعيد ينتفض، من الأحداث المروعة، ومن صاحب العربة الغامض، توقف ثم نزل مسرعاً، فتح الحافظ الخلفي العربة، غاب عن الأنظار.

تفقده سعيد، إنّما، اختفى بلا رجعة.

ذُعِرَ سعيد، هاج وماج، وصرخ وخرج عن ركيزته ينادي: عبد المعين، عبد المعين.

استيقظَ سعيد على وجوه بشوشة، حتى قال له الطبيب: أستاذ سعيد، أنت الآن بخير.

سعيد ينظر خلفه يتساءل: أين عبد المعين

ظهر عبد المعين في هدوء قائلاً: أنا هنا يا بيه.

قال سعيد بهلع ورعب وذعر: كيف تنام وتتركني معهم؟!

عبد المعين ينفي تماماً: أنا من الأمس لم أنم يا بيه، بل أنت الذي ذهبت في غفوة طويلة، وتلفظت ببعض الكلمات الغريبة، الله معك، يبدو أنّك تأثرت لموت الراحل.

تنبه سعيد، الراحل، نعم أين الراحل؟!

قال عبد المعين: ذهب لبيت الحق يا بيه.

استقر سعيد بضع لحظات حتى قرر، أن يعودَ إلى المنزل، إنّما ليس قبل أن يزورَ الراحل.

استقل سعيد سيارته، بعد قراءة بعض الآيات على روح الراحل، ثم قرر أن يعود أدراجه إنّما... بعد أن استقل السيارة، رافقه رجلٌ غريبٌ... مهلاً إنّه يعرفه جيداً... كيف ذلك؟!

إنّه الراحل... صُدِمَ سعيد مصعوقاً مرتجفاً متسائلاً: من أنت، من أنت؟!

أجاب الراحل وبسمة غريبة تلازمه: أما زلت تخشى مني.

صرخ سعيد هلعاً يرتح رأسه: عبد المعين، عبد المعين، بعدما اندفع الدم مرة واحدة لرأسه، حتى استقر ثابت الجثمان.

****

" بلا رحمة "

بعد كلّ السوء من الظن، ومعترك الحياة الهلامية، هل تعتقدون أنّني مخطئة، من جد فكري وليونة أظافري كنت أحظى بالحلم القصير الذي ناوره السقوط في قسوة من الفعل في خضم الواقع، أخذتني الحياة إلى هناك في بيت عادل، هذا العادل كان بمثابة شركة بيننا بها شراكة، هو يدفع المال وأنا أدفع جسدي وأقوم على خدمته، حقاً تسألون: ما الدافع لذلك؟ أقول زواج الصالونات.
دهرٌ من النفاق والتحمل، وأنا أكابر الظن بقلبي وأستحمل، بل أتروض على التحمل، الحقيقة ما دفعني للتحمل، هي نشأتي الحازمة بين أبٍ قاسٍ وأمٍ مسالمةٍ مطيعةٍ، لم أشعر حتى الآن بعد هذه السنوات أني مسنة، بعمري هذا لا يتعدى الأربعين، رغم ذلك لم تنطفئ رغبتي للأمل، أو تودي للحلم، هناك ذلك السؤال الذي يراودني: هل سأبدأ حياتي من جديد؟!
مع إنسانٍ آخر، يعرف معنى الإنسانية، يعرف معنى الحب.

ربما يرى الجميع أنّني لست أهلاً للعرفان، إنّما الحقيقة، أنّني تحملتُ... وتنازلتُ... وصرت دميةً بلا مشاعر، تجلس تنتظر تَأكل أو تؤكل، ثم يلقى بها في إحدى الأركان، لا أحد يسأل عني، لا أحد يراني أو يشعر بي، أنا مهمشة ومثابرة... فحقاً الضعف سماتي والهزل... لكن هيهات، فقوتي تتغذى على ضعفي لتنمو وتكون أشرس، مثلما تتغذى المناعة على مرضٍ، وتأكل الخلايا القوية الخلايا الضعيفة، فأنا أنتظر، تتسألون: ماذا أنتظر؟! أنتظر تلك الصفعة التي تأتيك من أناملي يا عادل حيث لا تدري، من أين تأتيك في قمة ضعفك، تأتيك عندما تغتر بالزمن وتؤمن به، هنا المرأة الضعيفة التي باتت في محض التناسي، عليك أن تستمر في طريقك أيّها الشريك المتغطرس، إنّما احذر، احذر، لأن القدر أبداً لا ينتظر، حتى يأتيك بصفعةٍ تجعلك رفاتاً مثل أسدٍ عجوزٍ، تنصل منه الزمن.

****

" أدِرْ لـــــياسين "

أدر صديقي المسكين، أنا الصديق الوحيد حبيبك، رفقاً يا صديقي فقد أحببتك يوماً وقد مرَّ، ولم أرَ إلّا أنّي قد عشقت والله قد عشقت، قلبي منفطرٌ ببعدك، ومازال منفطر، يا أدر... تذكرتك... نعم تذكرتك.

أدر... هيّا يا صديقي اجلبْ الكرة هيّا... أتعلمْ أدر؟!

الجميع لا يعلم عن الثقة كثيراً والرفق بالحيوان، الجميع لا يعلم الوفاء والحُبّ... أدر هيّا اتبعني يا صديقي الوفيّ... بين ذراعيّ المفتوحة هذه بسمة وتتوق بدفء الحضن ...آه يا صديقي العطوف، لا بأس لا تنبح حبيبك بخير، كم جميل عناقك أدر.

أدر يعشق ياسين، ياسين يحُبُّ أدر، لا تداعبني... تود اللعب بالكرة، ها... اجذب طرف الخيط، هههه صديقي الوفي ها هي الكرة أحسنت، لم أنسَ مرة أدر، عيناك وأنت تبكي... أنا بخير... أنا بخير يا صديقي... يا الله كم هو الوفاء والعشق.

كم كانت عصيبة تلك الليلة، أدر، هل تعلم؟!

أنّني أحُبُّ، هس، لا تقل للجميع، اغمد السر في مأمن
أدر، هدوء هدوء...حسناً... حسناً، سأقول...ذات الرداء
الأصفر...معشوقتي، أدر...نعم هي ...ماذا قلت؟!
أعلم... أعلم أنّك ترحب... وأنا أرحب بك صديقاً
وحبيباً...أدر... أدر لا تقلق أدر... ما زلتُ أحبّك
وأحبّها... بل أحُبُّ الأرض التي تجمعنا نحن الثلاثة
سوياً... أدر لياسين... وذات الرداء الأصفر،
أدر...أدر...هل رحلت أدر؟ وإنّما... أبداً لن يكون إلّا
بحضورك في قلبي أدر أبدياً.

****

مذكرات فتاة " **نعيم** "

لا تطأ قدماك يا بني فعند الأسفل يردد الذكرين بطهر الرياحين العطرة، هذا ما جعل الفتى فرغّ فاهه وانبهر من الأقاويل وعن الفجوة ركض، بينما تساءل بتأهبٍ: يا أماه من أسفل هاهنا؟! وبماذا يغتنم؟!

أجابت الأم في افتخار وبعين لا تخلوا من التعظيم والتأهب باكيةً على الراحل: يا بني نحن أصحاب الوطن لا نغتنم الفرص، بل الأعداء هم المغتنمون، نحن يا بني أبناء الأرض، خُلقنا عليها حملنا الأمانة، ودافع عنها أبناؤها الساكنين في التراب شهداء بيد الغادرين.

لم يكن من المستطاع أن يصمت خليل زوج أخت الشهيد، حتى جذب الغلام من منكبيه برفق قائلاً: بني أنتم الأجيال التي ستكون يوماً جنود الأرض، هل سمعت عن حماة البلاد؟!

قال نعيم وهو ينظر للفجوة التي يقام عليها الشاهد: نعم يا أبي قد سمعت.

قال والد نعيم: إذاً، اعلم أنّنا ما حيينا سندافع عن الأوطان، وأشار بيديه نحو ضريح الشهيد: مهما كلفنا الأمر، كان آخره نعيم.

بكت الأم وهي ترثي الراحل في زهوٍ وتكبرٍ: جنة الخلد يا أخي دمتم فيها مخلدين.

صمت نعيم مندهشاً، يكابل الاحساس المتعانق بالوجود والرحيل والتضحية والصدمة التي بها سوف يحيا طيلة عمرة، يقدر معنى الوطن، و يكون له عيون النسر والتيقظ والدفاع عن الأرض الطاهرة بلاده الحرة، بينما انبثق بطموحاته، أنّ حفظ الأرض هي الحد الذي لا يستطيع الآخرون الاقتراب منه مهما كلفهم الثمن، حتى إلى حين.

****

محتويات الكتاب	
الإهداء	3
شكر و عرفان	4
أدرينالين	5
الحب بلا أشواك	11
عفاف	18
عقاب الضمير	21
عذرا ايها الحب	28
ما قبل الضمير	31
ذكرى	33
من السارق	35
عزيزة	40
قطوف الياسمين	44
عادل	46
إلى ماما أتحدث	48
سارة	51
بقايا الحب	54
رحيق بلادي	58
ويتجلى المحظور	60
عوضين	67
من چون	70

إبراهيم	72
المكان	75
ياسين	79
جبروت امرأة	81
ندى	84
نعم أسمعك	92
اشتباه	94
مذكرات فتاة	99
الراهب والفيلسوف	101
هي وسميرة	107
نبيلة	110
سلامة	112
راحت عليك يا رضا	116
مضياف في عمق العشم	119
امرأة ترث القانون	122
حسان	126
عبد المعين	128
بلا رحمة	132
أدِرْ لـــــياسين	134
نعيم	136
محتويات الكتاب	139

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني محفوظة للناشر